صور مشرقة للإسلام

محاضرات

فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن علي الغامدي

(إمام الحرم المكي الشريف ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية

لدى زيارته ندوة العلماء، بلكناؤ، الهند عام ٢٠١٢م)

رتبها وخرج أحاديثها واعتنى بها

محمد فرمان الندوي

عضو هيئة التدريس بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ

ملتزم الطبع والنشر

الأمانة العامة لندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

ملتزم الطبع والنشر
الأمانة العامة لندوة العلماء
ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

(الرئيس العام لندوة العلماء، لكناؤ الهند)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي ختم الله عليه النبوة وأتم عليه ما خصه من الكرامات .

وبعد: فقد سعدت مدينة لكناؤ بزيارة إمام المسجد الحرام فضيلة الدكتور الشيخ خالد بن علي الغامدي ، و مدينة لكناؤ عاصمة الولاية الشمالية للهند ، و هي أكبر ولاية في الهند ، وفيها مؤسسات إسلامية ، ومعاهد ومدارس إسلامية كثيرة ، وفيها المركز التعليمي والدعوي الإسلامي المعروف : ندوة العلماء ، وذلك عند ما علم مسئولو شئون الحرمين الشريفين رغبة ندوة العلماء في أن يزورها إمام المسجد الحرام ، ويلقي محاضرات أمام طلاب ندوة العلماء والجماهير المسلمة في المدينة وفيما يجاورها من أنحائها، فتكرموا بالاعتناء بالموضوع وحصلت لهم من حضرة خادم الحرمين الشريفين الموافقة لذلك ، فحصلت لندوة العلماء ومسلمي مدينة لكناؤ الفرصة الجليلة الكريمة ، فزارها الإمام الموقر فضيلة الدكتور الشيخ خالد بن علي الغامدي حفظه الله ، وقضى خلال إقامته فيها

خمسة أيام في لقاءات علمية ودينية وإلقاء محاضرات في موضوعات علمية وتوجيهات مفيدة ، أخص بالذكر منها :

١- القرآن كتاب هداية وشفاء .

٢- السيرة النبوية والسلام العالمي .

٣- الوسطية شعار الأمة المحمدية .

٤- أدب التعامل مع الناس .

٥- جهود الإمام محمد بن عبد الوهاب لنشر عقيدة التوحيد في الجزيرة العربية ومكانة الإمام في إصلاح العقيدة و نشر الهداية الدينية ، أوضح فيها مكانته الجليلة في الدعوة إلى الحق المبين وتطبيقه في المسلمين ، و تنشر هذه المحاضرة في رسالة مفردة .

أما المحاضرات الأخرى الأربع المذكورة أعلاه فهي لكونها على موضوعات علمية ودعوية كانت تنسجم فيما بينها بموضوعا تها، فرأينا أن نجمعها في مجموعة واحدة.

إن موضوعات هذه المحاضرات الأربع موضوعات تطرق آذان المسلمين بما يصلح حالتهم الدينية وتهديهم إلى بناء سيرة إسلامية صافية ، كما أنها تلفت نظر غير المسلمين إلى الخير الذي يدعو إليه الإسلام وهو ينصح جميع أبناء البشر بإصلاح الحياة الإنسا نية بخاصة في الظروف الحالية حيث ابتعد

الناس والمسلمون كذلك إلى حد ما عن صفاء الخلق وجمال السيرة الذي كان عليهم أن يسيروا عليه متبعين لتعاليم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، فقد جاء في كلام الله المجيد أنه هدى وشفاء، وأنه يهدي إلى الصراط المستقيم ، و أنه شفاء للأذهان والقلوب، وأن السيرة النبوية أسوة مثالية لحياة الإنسان الصالحة ، لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٢١) ، ولما أكمل الله دينه على خاتم أنبيائه ﷺ أتم ببعثته نعمته على الناس ، وجعل الإسلام سهلاً على نفوس متبعيه، وهو يتطابق تطابقا مع متطلبات الحياة الإنسانية الصحيحة الصالحة، وجعله دينا وسطا ، لا غلو فيه ولا نقص ، وليس محدودا في بعض نواحي الحياة الإنسانية المحدودة ، مثل تصور عقائدي محدود ، وعبادة محدودة ، بل إنه نظام جامع لجميع أحوال الإنسانية الضرورية ، من الإنسان العبد وفق إله العالمين الإله الواحد الصمد، وباعتدال وتوازن جميعا ، تنبطق عليه صفة الوسطية إذا اتبع المسلم لله الهداية الحاصلة من كتاب الله تعالى و من السنة النبوية الشريفة ، فإنه إن سار على طريقه الوسط لحياة الإنسان فيحصل له طبعا التعامل الأخوي الكريم في المجتمع الإنساني الذي ينشر بين أفراد المجتمع الإنساني المحبة

والتعاطف وإصلاح ذات البين .

فعلى كل ، اختار فضيلة الإمام الموقر هذه الموضوعات المهمة من مقتضيات الحياة الإنسانية من صميم ضرورات الحياة الإسلامية ، وكانت محاضراته بأسلوب سلس وتعبير موافق لأفهام الناس ، وقد استفاد بها الناس استفادة كبيرة ، لقد رأينا اهتمام فضيلة الإمام بمعاني السيرة الإسلامية الصالحة ورأينا أسلوب عرضه للمعاني المفيدة الصالحة ، فزادنا تقديرا له ، وعرفنا بذلك خصائصه و أعماله العلمية والدينية التي نالت في قلوب السامعين و أذهانهم تقديرا لائقا .

فإنه قد أدى بذلك مسئوليته كعالم جليل وداعية نبيل ، قضى أيام إقامته بيننا مشتغلا بإلقاء خطاباته المفيدة ولقاءات مع المسلمين ومع غيرهم لتقريب فهمهم لمعاني الإسلام وما يشتمل عليه من الخير و الحق والصلاح للناس في كل مكان .

فنحن نشكر فضيلة الإمام على بذله لمساعيه كترجمان للإسلام وخلقه النبيل وتعاطفه الإنساني الصالح ، جزاه الله خير الجزاء ، كما نشكر المسئولين في رئاسة شئون الحرمين الشريفين وعناية حضرة خادم الحرمين الشريفين بابتعاثه إلينا ، جزاهم الله خير الجزاء ، كما أشكر سفارة خادم الحرمين الشريفين في دلهي ، فقد جعلت رئيس الشئون الدينية في

السفارة فضيلة الشيخ أحمد الرومي مرافقا له في الجولة .

فاعترافاً منا وتقديراً لأهمية هذه المحاضرات ننشرها ليستفيد بها من لم يحضر في هذه المحاضرات، وقد بذل الأخ محمد فرمان الندوي أستاذ دار العلوم لندوة العلماء جهدا طيبا في نقل المحاضرات حرفيا من المسجل ، والاعتناء بما يقتضيه عرضه للقراء ، فنشكره على ذلك.

كتبه :

١٤٣٣/٠٧/١٣هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٠١٢/٠٦/٠٤م — ندوة العلماء لكناؤ، الهند

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلا ة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين والمتقين ، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .وبعد :

فهذه أربع محاضرات مهمة ارتجلها فضيلة الإمام المكرم السيد خالد بن علي الغامدي حفظه الله تعالى ، لدى زيارته ندوة العلماء لكناؤ في مايو عام ٢٠١٢م ، وكانت هذه الزيارة لمدة خمسة أيام ، بدعوة من رئيس ندوة العلماء العام سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي حفظه الله تعالى ، وقد أبدى فضيلة الشيخ المبجل الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء ، انطباعاته عن هذه الزيارة فقال : "وقد لوحظ خلال زيارته لمدينة لكناؤ جو الروحانية والسكينة سائداً ، وغمرت الفرحة والبهجة أهالي لكناؤ من المسلمين وغير المسلمين ، وكانت هذه الزيارة حافلة ببرامج دعوية وتوعية منوعة تلقت القبول والتقدير، فكانت هذه الزيارة طيبة عطرة فواحة ، استنشق أهالي مدينة لكناؤ برياها عبير الحرم وعاشوا معه في أجواء مكة المكرمة وأريجها و شذاها ، وكانت هذه الزيارة المكية

الوضاءة حافلة ونافعة".

وقد قام فضيلة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء بتعريف فضيلة الامام أثناء الحفل المنعقد في ندوة العلماء ، في٢/مايو عام ٢٠١٢ ، فقال : ثلاث خصال اجتمعت في شخصية الإمام المكرم ، وهي شرف النسب ، فإنه آل النبي الكريم ﷺ ، وشرف الموضوع فإن تخصصه في كتاب الله وعلومه وقراءاته ، وشرف المهنة فإن إليه إمامة الحرم المكي الشريف .

وبما أن هذه المحاضرات كانت قيمة ، فوقع اختيار سماحة شيخنا الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي على هذا العبد المتواضع ، لجمعها وترتيبها والاعتناء بها ، فنتقدم إليه بأفضل آيات الشكر والامتنان على هذه التكرمة العظيمة .

نحمد الله عز وجل على أن هذه المحاضرات نقلت من الشريط حرفيا في ظرف أسبوعين ، ثم طبعت بإيعاز من سماحة شيخنا السيد محمد الرابع الحسني الندوي أطال الله بقاءه ذخرا للإسلام من الأمانة العامة لندوة العلماء في صورة كتاب وتحلى جيدها بمقدمة ضافية علمية له ، وما إن صدرت هذه المحاضرات حتى نفدت الطبعة الأولى في أقرب وقت ، وقد سعد كاتب هذه السطور بنقلها إلى الأردية لغة شبه القارة الهندية ،

والترجمة الأردية مطبوعة من الأمانة العامة لندوة العلماء ، و هي متداولة في الأوساط الدينية ، والفضل يرجع بعد توفيق الله إلى سماحة شيخنا حفظه الله ورعاه .

هذه هي الطبعة الثانية للمحاضرات ، ألحقنا بها تعريفا موجزا بالإمام المبجل ، ووضعنا العناوين الجانبية تسهيلا للقراء ، وقمنا بتخريج الأحاديث والقصص التاريخية ، وقد ساعدني في نقل هذه المحاضرات من الشريط الأخ محمد أويس الطالب في كلية الدعوة والاعلام بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ الهند .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملنا هذا ، ليعم نفعه وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

١٤٣٤/٣/١٤هـ — محمد فرمان الندوي

٢٠١٣/١/٢٧م — ندوة العلماء لكناؤ ، الهند

تعريف موجز بالإمام المبجل

مولده ونشأته التعليمية :

الشيخ الدكتور خالد بن علي بن عبدان آل أبلج الغامدي

إمام وخطيب المسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى لمواسم الحج وجامع الأميرة شيخة بنت عبد الرحمن آل سعود بحي الخالدية في مكة المكرمة سابقاً.

الشيخ من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٨٨ المصادف١٩٦٨ ويتصل نسبه بالسيد : أبلج أبي القاسم بن علي، الذي يرجع نسبه إلى سيد المسلمين في زمانه : الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وإنما نُسب إلى قبيلة غامد ، لأن أجداده سكنوا منطقة الباحة التي هي موطن قبيلة غامد فنُسبوا إليها موطناً.

وفي مكة تلقى جميع مراحل التعليم ماقبل الجامعي، كان نصيب المعهد العلمي منها المرحلتين المتوسطة والثانوية، ثم التحق بجامعة أم القرى في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

تلقى تعليمه خارج المدارس النظامية على يد عدد من العلماء منهم:

الشيخ سعيد العبدالله - شيخ قراء حماة - / قرأ عليه القرآن برواية حفص عن عاصم ، والشيخ حسين خالد / قرأ عليه برواية حفص ، وكذلك برواية قالون وورش عن نافع ، والشيخ عبد الغفار الدروبي / قرأ عليه لعاصم براوييه ولابن كثير المكي والشيخ محمد صالح الحبيب / في ألفية ابن مالك في النحو ، والشيخ محمد الخضر الناجي - أحد طلبة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب الأضواء - في أضواء البيان وفي قطر الندى لابن هشام والشيخ محمد سيدي الشنقيطي - أحد طلبة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب الأضواء - / في اللمع للشيرازي في أصول الفقه ، وغيره والشيخ محمد المختار الشنقيطي - عضو هيئة كبار العلماء - / في زاد المستقنع في الفقه وحضر جملة من دروس المشايخ الكبار : ابن باز وابن عثيمين والبسام التي كانوا يعقدونها في المسجد الحرام إضافة إلى القراءة العلمية المنتظمة في شتى العلوم والمعارف.

مؤهلاته العلمية:

- **١٤١١هـ** حصل الشيخ خالد على درجة البكالوريوس بتقدير ممتاز من جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين.

- ١٤١٢هـ عمل نتيجة لتفوقه معيدا لدى نفس الجامعة، بقسم القراءآت التابعة لنفس الكلية.
- **١٤١٦هـ** حصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز من كلية القرآن الكريم وعلومه بجامعة أم القرى، قسم القراءآت، وكان بحثه في جامع البيان في القراءآت السبع(– الداني) تحقيق ودراسة القسم الرابع مع التوصية بطبع الرسالة .
- **١٤٢١هـ** حصل على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز من كلية القرءآن الكريم وعلومه بجامعة أم القرى، قسم قراءآت وعلوم القرءآن الكريم، وكان عنوان الرسالة : (تفسير الثعلبي تحقيق ودراسة القسم الرابع) مع التوصية بطبع الرسالة.
- حصل على أستاذ مشارك في تخصص القرآن وعلومه **أعماله ومناصبه:**

○ بدأ إمامة المصلين منذ عام ١٤٠٦ في مسجد في الحي ثم انتقل إلى جامع الأميرة شيخة بنت عبد الرحمن آل سعود

○ ١٤٢٢هـ عمل أستاذا مساعدا – قسم القراءآت - في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، وتم تعيينه بنفس العام رئيساً لقسم القراءآت حتى منتصف عام**١٤٢٤هـ**

○ **١٤٢٣هـ** بتوجيه من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عين الشيخ خالد إماماً بمسجد الخيف بمنى.

- ١٤٢٦هـ عين وكيلا لكلية الدعوة وأصول الدين، وهو المنصب الذي يشغله حاليا في حقل التعليم.
- ١٤٢٨/١١/٢٥هـ وبتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، صدر قرار ملكي بتعيين الشيخ خالد بن علي بن عبدان الأبلجي الغامدي، لإمامة الحرم المكي الشريف.
- باشر الشيخ إمامة الحرم المكي الشريف في ١٤٢٨/١٢/٢٨هـ.
- حصل على أستاذ مشارك في ١٤٣٠/١١/١١هـ.
- صدرت الموافقة على تدريسه في المسجد الحرام وبدأ التدريس في علم التفسير والسيرة يومي الأحد والاثنين بعد صلاة العشاء.
- أكرمه الله فصلى التراويح والتهجد في المسجد النبوي إماما في رمضان عام ١٤٣١ وكذلك في عام ١٤٣٣ للهجرة، ولذلك يلقب إمام الحرمين.
- وصلى كذلك في مسجد قباء إماما.
- فيكون بذلك قد أم المصلين في أشهر مساجد الإسلام والمسلمين : الحرم المكي والحرم النبوي ومسجد الخيف في منى ومسجد قباء في المدينة المنورة.

مؤلفات الشيخ وبحوثه:

١ - القراءات الشاذة-مفهومها وأحكامها. (بحث لدورية كلية البنات بطنطا.

٢ - العناصر المشتركة بين سور آل حم وتفرداتها. (بحث لدورية كلية أصول الدين بالأزهر.

٣ - جامع البيان في القراءآت السبع. (بحث لدورية جامعة الشارقة.

٤ - القراآت التفسيرية مفهومها وأنواعها.

٥ - المقاصد المشتركة بين سور آل حم.

٦- مقدم القرآن ومؤخره..

٧ - القراآت الشاذة مفهومها وأحكامها

٨ - عناية شيخ الإسلام بالقراءآت. (مخطوط).

٩ - التغني بالقرآن مفهومه وآدابه. (مخطوط).

١٠- حكم لزوم الجماعة والآثار المترتبة على ذلك.

١١- منهج أبي بن كعب في التفسير.

١٢- طبائع الإنسان في القرآن.

١٣- آثار تدبر القرآن.

الشيخ خالد عضو:

- لجنة التأديب الخاصة بالطلاب سابقاً.
- لجنة مكافحة التدخين بالجامعة.
- اللجنة العلمية بالكلية.
- لجنة مراجعة منهج مادة الثقافة بالكلية.
- الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم.

- توعية الحجاج بوزارة الشؤون الإسلامية من عام ١٤١٦هـ اللجنة الاستشارية بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بمكة المكرمة سابقاً.
- عضو في مجلس كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى.
- عضو في مجلس كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

من مهام الشيخ في جامعة أم القرى:

- الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة.
- تحكيم البحوث في مجلات علمية محكمة.

حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين، وعصمه من كل سوء، وتقبل منه أعماله وخدماته، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المحاضرة الأولى

القرآن الكريم

كتاب هداية وشفاء

القرآن الكريم
كتاب هداية وشفاء*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على حبيبنا ونبينا وسيدنا وقدوتنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرياته وأصحابه الطيبين الطاهرين وسائر الصحابة الأبرار الأطهار و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

العرب قبل بعثة النبي ﷺ :

لا شك أن الله عزّوجلّ نظر إلى العرب أو إلى الأرض ، فمقتهم جميعاً إلا بقايا من أهل العجم والعرب [1] الذين يدينون بالكتب السماوية في ذلك الوقت ، لقد كان الناس قبل بعثة النبي الكريم في جاهلية جهلاء ، وفي ظلمات بعضها فوق بعض ، متراكمة متكاثرة ، لا يعرف الناس الحق ، وليس لهم دين يدينون به ، وكان الناس بذلك الوقت مختلفين ، منهم من

---

* محاضرة ذات معان ودلالات عالية ، ألقاها فضيلة الإمام حفظه الله بعد صلاة المغرب أمام طلاب ندوة العلماء والجماهير المسلمة في ندوة العلماء ، لكناؤ .في ٢/مايو عام ٢٠١٢م .

(١) رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي ، رقم الحديث/٢٨٦٥ ، ولفظه : إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب .

يعبد الشجر والحجر والكواكب ، ومنهم من يعبد الأوثان والأصنام ، وكان القتل وسفك الدماء والسرقة وأكل المال الحرام وكثير من الفساد ، وكان الجهل مطبقا على العالم في ذلك الوقت إلا بقايا من أهل الكتاب ، كما قال النبي الكريم ﷺ ، فلما آذن الله تعالى وأراد بالبشرية خيراً بعث إليهم هذا النبي الكريم ، وكان من شرفه عليه الصلاة والسلام قبل أن يبعث أنه كان يتعبد ويتحنث في غار حراء الليالي ذوات العدد كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في صحيح البخاري : وكان يذهب إلى هذا الغار غار حراء ، وهو غار معروف في مكة ومشهور ، ويمكث فيه ليالي متعددة يتعبد الله عزّوجلّ ، ويتحنث في ذلك الغار ، وكان هذا الفعل منه عليه الصلاة والسلام في حقيقته خروجاً ومروقاً عن الوضع الأليم الذي كان يعيشه العرب في ذلك الوقت ، وكان عليه الصلاة والسلام منذ صغره يكره عبادة الأصنام ويكره ما فوقه من الفساد وأكل الحرام ، والمعاصي والكبائر التي كانوا فيها ، والشرك بالله تعالى وعبادة الأصنام ، وكان يذهب إلى هذا الغار ليخلو بنفسه ويتدبر في ملكوت السماوات والأرض.

أول وحي نزل على رسول الله ﷺ :

فجاءه الوحي في تلك الليلة المباركة ليلة السابع والعشرين

من شهر رمضان ، كما ثبت من الحديث الصحيح أن القرآن أنزل في هذه الليلة على النبي الكريم ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، فقال فقلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ {العلق/١-٥}[٢]

رسالة الوحي الأول :

وكانت هذه الآيات المباركات هي أول ما نزل من كتاب الله سبحانه وتعالى وفيها دلائل عظيمة ومعان جليلة ، من أهمها وأعظمها أن هذا الدين الجديد الذي طرق العالم في تلك الليلة المباركة ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم ، هذا الدين الجديد هو دين العلم والعلماء ، دين الفكر والعقل ، دين التذكرة والتبصرة ، دين الأمن والسلام ، ليس دين العوائق والعلائق ، وليس دين الجمود والتحجر ، الذي كانت عليه البشرية قبل بعثة المصطفى ﷺ ، إنما هو دين العلم ودين العلماء ، ودين الفهم والقراءة ، كانت هذه من أعظم الدلائل التي

---

[٢] رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، باب كيف كان بدؤ الوحي : ٢

نزلت في تلك الليلة ، ونزلت في أول ما نزل من القرآن العظيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، خرج النبي الكريم من غار حراء يرجف فؤاده ، خائفاً مذعوراً حتى أن وصل إلى خديجة رضي الله عنها وشكى إليها ما حصل ، إلى آخر هذه القصة المعروفة.

القرآن هداية للبشرية جمعاء :

في تلك الليلة المباركة نزل هذا القرآن العظيم ، نزل هدايةً للبشرية وإنقاذاً لهذه الأمة من الظلمات و الجهل و الضلال إلى النور و الخير و البركة و العلم و الهدى والفلاح ، نزل القرآن لكي يضع للناس منهجاً يسيرون عليه في حياتهم ، وفي طريقهم إلى الله ، لأن الإنسان في هذه الحياة إنما هو مسافر ، إنما هو في حقيقته مسافر إلى الله عزّوجلّ ، يتبع الأيام والليالي التي هي مراحل ، مراحل السفر إلى الله عزّوجلّ ، ويدفعها ويسافر فيها ويمشي إليها ليصل إلى الله سبحانه وتعالى ، فأنزل الله عزّوجلّ هذا القرآن ليكون هادياً للإنسان في طريقه إلى الله عزّوجلّ ، ومُبيّنا وموضحا هذا الطريق المبارك الذي يوصلك إلى الله سبحانه وتعالى ، أنزل الله عزّوجلّ هذا القرآن ليكون حاكماً على البشرية جمعاء ، ليكون حاكماً على الأقوال والأعمال والأخلاق والآراء والأهواء وغير ذلك ، ليكون مرجعاً للبشرية

يحتكمون إليه في كل ما يعرض عليهم من نوازل وحوادث ، أنزل الله هذا القرآن ليكون نورا مبينا وبرهانا عظيما لجميع الأمم والبشرية ، ليتبعوا بهذا النور التام.

أيها الإخوة !

فإن البشرية كانت في ظلمات عظيمة لا تعرف قدر حديث الله عزّوجلّ ولا تعرف حقيقة حديث الله ، فلما جاء هذا القرآن أنار للعالم كله الطريق الصحيح الموصل إلى الله تبارك وتعالى ، يقول الله عزّوجلّ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ {الإسراء/٩} ، فالقرآن العظيم هداية عظيمة للبشرية جمعاء إلى الطريق التي هي أقوم وأفضل وأزكى وأطهر وأعظم ، هذه الطريقة القرآنية هي التي تنجي الناس بإذن الله من جميع أنواع الفتن والشرور والضلالات والانحرافات ، يهدي للتي هي أقوم في كل مجالات الحياة ، يهدي للتي هي أعظم سبيلاً وأوضح طريقاً وأسلم منهجاً في كل مجالات الحياة ، يهديهم في المجالات الاقتصادية ، يهديهم في المجالات الاجتماعية ، في كل شأن من شئون الحياة ، يجد الناس في هذا القرآن الهداية الكاملة التامة والشفاء والنور بإذن الله عزّوجلّ ، فالقرآن هداية ربانية ، ومنحة إلهية ونعمة إلهية لهذه البشرية ، أنقذها

الله تعالى بهذا القرآن من كل الظلمات والضلالات والانحرافات التي كانت في البشرية قبلنا ، وقد جعل الله عزّوجلّ في هذا القرآن أسباب الشفاء وأسباب الصلاح والنور والهدى التام ، فمن أخذ به وبما فيه فإنه لابد أن يصل إلى الخير والنور الذي وعده الله عزّوجلّ ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {يونس/٥٧}.

القرآن موعظة وشفاء :

أيها الإخوة !

هذا القرآن موعظة من الله يعظ الله به الناس ويذكرهم ويأمرهم وينهاهم ، لذلك كانت التوراة هي العهد القديم عهد الله للبشرية ، العهد القديم هو التوراة ، والعهد الجديد هو الإنجيل ، وهذا القرآن العظيم هو العهد الأخير من الله عزّوجلّ، العهد الأخير والرسالة الأخيرة من الله للبشرية هذا القرآن العظيم الذي هو بين أيدينا ، فهذا القرآن موعظة إلهية ربانية من الله إلى بني البشر ، وهو كذلك شفاء يشفي بإذن الله عزّوجلّ من أمراض القلوب وأمراض الأبدان ، وهذه أمور مكررة وأمور مؤكدة لا شك فيها أبداً ، القرآن شفاء يشفي الله عزّوجلّ من أمراض القلوب ، ومن أمراض الأبدان .

المرض مرضان :

أيها الإخوة !

أنتم تعلمون أن القلب ، قلب الإنسان يتعرض للمرض، وهذا المرض إما أن يكون معنوياً وإما يكون بدنياً ، والأمراض التي يتعرض لها قلب الإنسان إما أن تكون بسبب الشهوات أو بسبب الشبهات ، فأمراض الشهوات وأمراض الشبهات هي أكثر الأمراض التي يتعرض لها قلب الإنسان ، والقرآن العظيم فيه شفاء عظيم لهذين المرضين الخطيرين ، ففي القرآن بإذن الله شفاء من أمراض الشبهات ، وفي القرآن أيضا شفاء عظيم من أمراض الشهوات ، فمرض الشهوة بيّن الله عزّوجلّ أنه المرض الخطير ، الذي يعتري القلب فيفسده ، ويهلكه ، يقول الله عزّوجلّ في الكتاب العظيم : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب ٣٣) وقال: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب ٣٢) هذا هو مرض الشهوة ، وقال الله عزّوجلّ في سورة البقرة : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

(الآية ١٠) ، هذا هو مرض الشبهات ، فالقرآن تحدث وتكلم عن مرض الشهوات ومرض الشبهات ، بينّ هذين المرضين و وضح حقيقتهما ، ثم بين و وضّح القرآن أسباب الشفاء من هذين المرضين ؛ فذكر سبحانه وتعالى الشفاء بإذن الله عزّوجلّ بمرض الشهوات في آيات كثيرة ، منها ما قال عزّوجل: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ {النور/٣٠-٣١} هذا من أسباب الشفاء لهذا المرض ، مرض الشهوات ، وغضّ البصر يعني أن يغض الإنسان بصره ويحفظ فرجه ويتبعد عن كل وسائل مثيرة للشهوات ، وفيه الشفاء بإذن الله عزّوجلّ من أمراض الشبهات ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى

ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ {الحج/٥٢} هذه شبهة ، وهذا مرض الشبهات ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ {الحج/٥٣-٥٤} فالقرآن شفاء من أمراض الشهوات وأمراض الشبهات ، وما أكثر الأمراض التي يبتلى بها الإنسان في هذه الحياة الدنيا من أمراض الشهوات ، وألوان الشهوات التي يتعرض لها الإنسان ، ويتعرض لها الناس في هذا الزمان ، يتعرضون لأنواع كثيرة من الشهوات ، فكثير منهم يقبل هذه الشهوات ، وهذا المرض ويطيعه ويتبع هذه الشهوات ، ويبتلى بهذا المرض الخطير ، مرض الشهوات ، وكثير من الناس أيضاً يبتلى بمرض الشبهات.

مرض الشبهات أخطر من مرض الشهوات :

ولتعلموا أيها الإخوة : أن مرض الشبهات أخطر بكثير من مرض الشهوات ، لأن الإنسان الذي يمرض مرض الشهوة فإنه لا شك في أن هذا المرض أقل خطورة من مرض الشبهات ، ولعله أن يتوب قريباً إذا ذكر بآية أو خوف بعذاب القبر وعذاب

النار ، يتوب ويرجع ، وكثير من الناس الذين يبتلون بمرض الشهوات يرجعون ، لكن الشأن كل الشأن فيمن يبتلى بمرض الشبهات ، نسأل الله العافية والسلام ، فالذي يبتلى بشبهة في دين الله عزّوجلّ ، إمّا في القرآن أو في السنة أو في غير ذلك من أصول الدين وقواعده الكبار ومجالات العقيدة وغير ذلك ، الذي يبتلى بشبهة في ذلك قل ما يتوب ، قل ما يتوب ، ولذلك روي عنه ﷺ أنه قال : إن الله حجر التوبة عن صاحب البدعة [٣] يعني في الغالب أن صاحب البدعة لا يتوب ولا يطيع ولا يترك بدعته ، لأنه يعتقد أنه على الحق ، لذلك يدافع عن بدعته وعن ضلاله وعن شبهته ، وينافح عنها ، ويرى أنه على الحق ، فالذي يبتلى بمرض الشهوات يعرف أنه مقصر ، ويعترف بأنه مذنب ، لكن صاحب الشبهة لا يزال يستمر في شبهته ، ويدافع عنها ، وينافح عنها ، ويرى أنه على الحق ، نسأل الله العافية والسلام .

فالقرآن شفاء أيها الإخوة : من هذه الأمراض الخطيرة ، التي يبتلى بها الإنسان في هذه الحياة ، وقال : إن العبد إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب

---

[٣] الكامل في الضعفاء : ٥٠٥/٧ ، قال الذهبي في تلخيص العلل المتناهية : فيه محمد بن عبد الرحمن القشيري متهم ، رواه ابن عدي في الكامل عن أنس بن مالك .

صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها ، حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذي ذكره الله سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (التطفيف : ١٤)[٤] .

هذا الذي يصل بالإنسان إلى المراحل المتقدمة في هذه الأمراض الخطيرة ، نسأل الله العافية .

القرآن شفاء للأبدان من الأمراض الجسدية :

كذلك القرآن شفاء للأبدان ، تعرفون أيها الإخوة الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال : كنا في مسير لنا ، نزلنا منزلا فجاءت جارية ، فقالت : إن سيد هذا الحي سليم ، و إن نفرنا غيب ، فهل منكم راق ، فقام معها رجل ، ما كنا نأبه برقية ، فرقاه فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية ، أو كنت ترقي ، قال : لا ما رقيت إلا بأم الكتاب ، قلنا : لا تحدثوا شيئا حتى نأتي أو نسأل رسول الله فلما قدمنا المدينة ذكرناه النبي الكريم ؛ و ما كان يدريه أنها رقية[٥] .

هذا دليل على أن القرآن شفاء أيضا للأمراض التي يبتلى بها الإنسان في بدنه والأمراض النفسية والأمراض العقلية والاجتماعية وغير ذلك ، فالقرآن شفاء .

---

[٤] رواه الترمذي في كتاب التفسير : ٣٣٣٤ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال حسن صحيح .
[٥] رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (خ/٢٢٠١ ، م/٢٢٠١) .

تجربة الإمام ابن قيم الجوزية لسورة الفاتحة:

و قد قال ابن قيم الجوزية في فاتحة كتابه : و لو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرا عجيبا في الشفاء ، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء و لا أجد طبيبا و لا دواءً ، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة ، فأرى لها تأثيراً عجيباً ، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما ، و كان كثير منهم يبرأ سريعاً [٦]

فالقرآن شفاء أيها الإخوة من كل الأمراض والأدواء والأهواء التي يبتلى بها بنو البشر .

القرآن يهدي للتي هي أقوم:

وهدىً ورحمة للمؤمنين : القرآن أيضاً هدى ، يهدي في هذه الحياة ، يهديك إلى الطريقة التي هي أقوم ، القرآن يهدي كل من كان حائراً لا يعرف من أين أتى ، ومن الذي خلقه ، وإلى أين يسير ، وأين يذهب ، وما هي نهايته ؟ وما هو مصيره ؟ وهذه الحالة لكثير من الملاحدة وكثير من الجهلة والضلال الذين أضلهم الله عزّوجلّ ، وكثير من أهل الضلال والعماية والغواية ، نسأل الله العافية والسلام .

حتى إنّ بعضاً منهم كما تعرفون يقول : جئت ولا تدري من أين ؟ قد وصلت قدامي طريقا تمشيت ، وإلى أين ؟ يقول : لا

---

[٦] الجواب الكافي : ٣ .

أدري ، ومن أين أتيت لا تدري ، من الذي خلقك لا تدري ، إلى أين تذهب لا تدري ، هؤلآء على الحيرة ، نسأل الله العافية والسلام ، هذه الحالة للذين لم يعرفوا الله عزّوجلّ ، ولم يعرفوا كتابه سبحانه وتعالى ، فالقرآن فيه إجابات عن كثير من السؤالات المشهورة ، التي يسألها أهل الضلال وأهل الحيرة ، ولا يعرفون الجوابات ، القرآن يجيبهم ، فيه التصور الصحيح الشامل عن الإنسان ، وطبيعة الإنسان ، ومن خلق الإنسان ؟ وكيف خلق الإنسان ؟ وما هي بداية الإنسان ؟ وما هي نهاية الإنسان ، القرآن فيه التصور الشامل والكامل والصحيح عن هذا الكون : من الذي خلقه ؟وكيف خلق ؟ ولماذا خلق الله عزّوجلّ هذا الكون ؟ ولماذا خلق الله عزّوجلّ هذه البشرية ؟ القرآن فيه التصور الشامل الكامل للبدء الرباني الذي يريده الله تعالى وطبق في الأرض ، وأن تأخذه البشرية وأن تسير به الهداة .

فالقرآن هدى ، يهدي كل الناس إلى طريق صحيح ، وإلى طريق مستقيم ، والقرآن رحمة ، رحم الله به عباده ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، لم تذق البشرية بعض الرحمة حقيقة إلا في هذا القرآن ، وفي هذا الدين الرباني ، الدين الإسلامي ، فاليهود في ديانتهم واعتقاداتهم أذاقوا أنفسهم أصناف العذاب ، من الشدة والغلظة ، والقسوة ، ومن التعاليم التي ابتدعوها في

أنفسهم فشددوا على أنفسهم وضيقوا على أنفسهم ، والنصارى كذلك ضيقوا على أنفسهم وشددوا على أنفسهم ، وابتدعوا من التعاليم والرهبانية ما لم ينزل الله به عليهم سلطانا ، فكانت حياتهم حياة ضنك وشقاء وبؤس وفساد .

فلما جاء القرآن ؛ وجاء النبي الكريم ﷺ وجاء الإسلام جاءت الرحمة وجاء العفو والحنان والسهولة والحنيفية السمحة والسماحة التي جاء بها الإسلام . فجاء الإسلام بهذه الرحمة ، يُحِلّ لهم الطيبات ، وكل الطيبات مباحة ، ويحرم عليهم الخبائث التي تضرهم ولا تنفعهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، كانت على من قبلنا من أصحاب الديانات سواء كانت سماوية أو أرضية أو غير ذلك ، كانت عليهم آصار كثيرة وأغلال وقيود حتى عاشوا عيشة الضنك والعذاب والشقاق والضلال ، نسأل الله العافية والسلام ، فجاء الإسلام و وضع عنهم هذه الأغلال ، وأذهبها عنهم وأبدلهم هذا الدين الرباني الإسلامي السماوي الذي من مقاصده الحنيفية السمحة والسهلة والرحمة والعفو بهذه البشرية جمعاء ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ؛ فالذين آمنوا بهم وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ، نسأل الله أن نكون منهم بفضله ومنه وكرمه .

الأمة المحمدية لها ثمانون صفاً في الجنة باذن الله :

فالقرآن أيها الإخوة شفاء ورحمة وهدى وموعظة ربانية ، أراد الله عزّوجلّ بها أن يكرم هذه البشرية وأن يكرم هذه الأمة المحمدية التي هي أكرم الأمم على الله عزّوجلّ كما قال : أنتم توفون أو تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها عند الله [٧] يعني هذه الأمة المحمدية ، رقمها بين الأمم سبعون ، رقمها بين الأمم سبعون ، رقمها سبعون ، نحن أفضل الأمم عند الله وأكرم الأمم على الله عزّوجلّ ، وتعلمون أن الجنة نسأل الله أن يرزقنا وإياكم هذه الجنة ، وهذه الجنة مائة وعشرون صفاً يعني الناس فيها مائة وعشرون صفا ، هذه الأمة المحمدية لها ثمانون صفا بفضل الله عزّوجلّ ومنّه وكرمه ، قال عليه الصلاة والسلام لصحابته يوما : أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبّروا، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا ثم قال : أما إنكم توفون ثلث أهل الجنة ، فكبّر الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، إذن هذه الأمة توفى وتؤمن ثمانين صفاً في جنات النعيم ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم ذلك الأمر هو الأربعون صفا ، والأخرى هي من الباقي ولسائر الأمم[٨].

---

[٧] رواه الترمذي في سننه عن معاوية بن حيدة القشيري : ٣٠٠١ .

[٨] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود : ٤٠٦/١٠ .

القرآن مجموعة البراهين العقلية و النقلية

فهذا القرآن أيها الإخوة أنزله الله عزّوجلّ إكراماً وتكرمة لهذه الأمة وهداية للبشرية جمعاء في كل نواحي الحياة وفي كل مجالات الحياة ، هذاالقرآن ، يقول الله عزّوجلّ عنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ {النساء/١٧٤} هو برهان عظيم فيه ، أي في هذا القرآن كل طرائق الجدل وطرائق النقاش والحوار والأقيسة النقلية ، وكل الأدلة التي يستدل بها على كل مسائل الحياة ومجالات الحياة ، سواء في العقيدة أو في الأحكام الفقهية ، فالقرآن فيه كل البراهين العقلية التي يستنير بها الإنسان ، في حياته يجادل بها أهل الضلال ، ويناقشهم بها ويحاربهم بهذه الأدلة العقلية ، لذلك يقول ابن تيمية رحمه الله : إن في القرآن الأدلة العقلية والنقلية التي لا يعرفها كثير من الناس ، لذلك أخذوا يذهبون إلى علوم أخرى من علوم المنطق والكلام والفلسفة فيستعينون بها لتقرير العقيدة ، وهذا خطأ كبير وانحراف عظيم ، لأن القرآن فيه كل الأدلة التي يمكن أن يستدل بها الناس ليثبتوا العقيدة الصحيحة ، ويجادلوا عن دين الله ، وليدافعوا عن دين الله عزّوجلّ ويردوا كيد الكائدين وضلال المضلين .

ففي القرآن الأدلة العقلية بأكمل ما يكون ، خرج

عمررضي الله عنه معه مولاه ليتفقد إبل الصدقة ، فلما رآها كثيرة متنوعة متعددة في بهاء وجمال وزينة وكثرة ، قال له مولاه : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، فنظر إليه عمر ، وقال له : كذبت ، كذبت ، بل فضل الله ورحمته : القرآن : فضل الله ورحمته القرآن ، فبذلك فليفرح يعني فليفرح الناس بفضل الله و برحمته ، وليعلموا أن هذا أعظم النعم التي أنعم الله بها على الناس ، والقرآن العظيم هو خير مما يجمعون يعني هذا القرآن خير من الدنيا وما فيها ، خير من هذه الدنيا ولذاتها وزينتها والتفاخر بها وما فيها من زخارف وكمالات زائفة ، لذلك ثبت عنه ﷺ أن من ذهب إلى المسجد ليتعلم آية من كتاب الله فهو خير له من ناقة كوماء ، وآيتان خير له من ناقتين وثلاثة وأربعة وهكذا ، والناقة الكوماء كانت هي في ذلك الوقت عند العرب من أفضل الأموال التي تقتنى ، قد يكون عند الإنسان ناقة كوماء أو شرى حمراء جميلة ، هذا من أفضل أنواع المال الذي يقتنى في ذلك الوقت ، آية من كتاب الله خير لك من هذه الناقة الكوماء[٩] ونحن نقول: آية من كتاب الله خير للإنسان من مئات وآلاف من الأموال ، يتعلم آية من كتاب الله عزّوجلّ ؛ لأنه بكل حرف من كتاب الله يعطيك الله

---

[٩] رواه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر في فضائل القرآن الكريم ، رقم/٨٠٣ .

حسنة وتضاعف إلى عشر حسنات ، وقد تضاعف عشر إلى سبع مائة ضعف، وقد تضاعف إلى أضعاف كثيرة ؛ لا أقول : "الم" حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، وكل حرف من هذه الحروف تعطى به عشر حسنات يعني في "الم" تأخذ ثلاثين حسنة ، تضاعف بإذن الله إلى أضعاف ومئات كثيرة من الحسنات الكثيرة .

تأثير القرآن على الصحابة الكرام :

هذا القرآن أيها الإخوة ! شفاء وهدى ونور ورحمة للمؤمنين ، أخرج الله به جيل الصحابة رضي الله عنهم من الظلمات التي كانوا فيها في الجاهلية ، وأنار لهم الطريق ، فإذا حصل ، تأثر الصحابة بالقرآن تأثراً عظيماً جدا ، حتى إن الواحد منهم إذا سمع آية من كتاب الله أخذ في البكاء والتأثر والتأثير بسبب هذه الآية الكريمة ، وأبو بكر كان لا يستطيع أن يقرأ القرآن لكثرة ما يبكى رضي الله عنه وأرضاه[١٠]

وعمر خرج يوما من الأيام فسمع قارئا يقرأ في أوائل سورة الطور في قوله عزّوجل :﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾{الطور/٧-٨} يقول الراوي : فما كان من عمر إلا أن وقف ثم استند إلى صخرة وراءه ، استند إليها ، وأخذ يبكي من هذه

---

[١٠] صحيح البخاري كتاب الصلاة باب المسجد يقوم في الطريق من غير ضرر بالناس .

الآية العظيمة ، ثم لم يستطع أن يمشي على رجله متأثرا بهذه الآية فحملوه رضي الله عنه حتى ذهبوا به إلى بيته ، ومكث أياما يزوره الناس ، يظنون أن به مرضا ، وليس به مرض رضي الله عنه[11] ، لكنه تأثر بهذه الآية تأثراً عظيماً جدا ، ولما نزل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ {النساء/١٢٣} يقول أبو بكر رضي الله عنه : فأحسست أنّ انقصاما حصل في ظهره يعني كأنّ ظهره قد انقصم من شدة هذه الآية، وتأثر بهذه الآية العظيمة : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[12] هذا القرآن أثر في جيل الصحابة رضي الله عنهم ذلك الأثر العظيم حتى تسمع لهم دَويّا كدوي النحل بقراءة القرآن وبتأثر كتاب الله عزّوجلّ ، ولم تنزل آية من كتاب الله إلا ويأخذها الصحابة ويتلقفونها ويتعلمونها ويقرؤنها ويفقهونها ما فيها من علم وعمل ، والواحد منهم ما كان يتجاوز خمس آيات حتى يتعلم ما فيها من علم وعمل ، وفي رواية عشر آيات حتى يتعلم ما فيها من علم وعمل ، يقول ابن عمر : فتعلمنا الإيمان والقرآن، تعلمنا الإيمان والعلم بهذه الطريقة التي كانوا يتعلمون بها، إن القرآن العظيم قد أحدث في جيل الصحابة انقلابا هائلا وتغييرا

---

[11] تاريخ دمشق لابن عساكر ج/٤٤/٣٠٨ .

[12] سنن الترمذي : ٣٠٣٩ ، كتاب التفسير .

عظيما غيّر به مفاهيمهم وعقلياتهم وأخلاقهم وتصوراتهم التي كانوا عليها ، عمر رضي الله عنه كان من أشد الناس عداوة لدين الله عزّوجلّ ، وكان يعذب الصحابة الذين أسلموا في ذلك الوقت ، وكان عدوا لدودا لدين الله قبل أن يسلم رضي الله تعالى عنه وأرضاه ؛ حتى كان الصحابة يخشون عمر خشية عظيمة ، ولذلك كان من دعائه : اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين[١٣] ، هذا في رواية، فأعز الله الإسلام بعمر؛ كيف أسلم عمر بن الخطاب؟ما الذي جعله يسلم هذا الرجل الذي ما كان أحد يتصور أن يسلم من شدة عداوته، وشدة قسوة قلبه على الصحابة وعلى النبي الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كيف أسلم عمر ؟ ما الذي جعل هذا الرجل صاحب القلب الغليظ القاسي ، يسلم لما سمع آيات تتلى عليه من سورة طه ، سمعها من زوج أخته حينما دخل عليه في البيت، فقال له: اسمع مني ماجاء به هذا النبي الكريم ، فقال عمر : هات ما عندك ، فبدأ يقرأ عليه صدر سورة طه، فإذا بعمر يبدأ يتأثر ويتفاعل مع هذا الكتاب العظيم حتى نطق وشهد شهادة الحق .

أيها الإخوة ! القرآن له تأثير عظيم جدا ، أثر في

---

[١٣] تاريخ دمشق ج/٤٤/٣٤ .

الصحابة تأثيراً كبيراً وأحدث فيهم تغيراً عظيماً في كل مجالات الحياة ، ولذلك أيها الإخوة ! كان الواحد منهم أي من الصحابة إذا قرئت عليه آية واحدة من كتاب الله توقف عن كل ما يريد أن يعمله ، وتأثر بذلك واستسلم لأمر الله عزّوجلّ ، جاء رجل إلى عمر وبدأ يتكلم مع عمر بكلام غليظ ويستفز عمر ، فأراد عمر أن يبطش به ، فكان عنده أحد الصحابة فذكره بالآية : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ {الأعراف/١٩٩}، وقال له : يا أمير المؤمنين ! هذا من الجاهلين ، فوقف عمر وكان وقافا عند كتاب الله عزّوجلّ[١٤]

لماذا لا يؤثر القرآن فينا :

أيها الإخوة !

هذا القرآن أثر في الصحابة هذا التأثير العظيم ، لذلك استطاع الصحابة رضي الله عنهم في أقل من ثلاثين سنة أن يفتحوا العالم كله شرقا وغربا ، فتحوا العالم وجاهدوا في سبيل الله بهذا الجهاد العظيم ، ولم تكن عندهم هذه الآلات المتقدمة ولا هذا التطور في الأسلحة ، إنما كان إيمانهم بالله وبهذا القرآن ، وكان سلاحهم هو القرآن ، ففتحوا العالم كله في أقل من ثلاثين سنة ، فتحوا العالم شرقا وغربا .

---

[١٤] رواه البخاري كتاب التفسير باب خذ العفو وأمر بالعرف .

والسؤال الآن الذي يطرح نفسه : لماذا أثر القرآن الكريم في هذا الجيل الفريد هذا التأثير العظيم ، ونقلهم هذه النقلة النوعية العجيبة الغربية من الحياة الجاهلية الجهلاء التي كانوا متعودين عليها سنين طويلة ، نقلهم هذه النقلة الكبيرة العجيبة إلى حياة القرآن والجهاد والبذل والتضحية وحياة الخير والبركة التي كانوا فيها ، ما الذي حصل أيها الإخوة! ، ما الذي حدث لهذا الجيل الفريد حينما تأثر بهذا القرآن هذا التأثر ، ونحن اليوم عندنا هذا القرآن هو نفسه لم يتغير ، جاء إلينا عبر هذه السنين والقرون المتطاولة ، ونقل إلينا بالأسانيد المتواترة ، هذا القرآن الذي تأثر به الصحابة رضي الله عنهم هو نفسه القرآن الذي هو بين أيدينا والذي نقل إلينا حتى إنه لو أن هناك واحدا من الناس غير في كتاب الله عزّوجلّ ولو حرفا واحدا لأنكر عليه أطفال المسلمين قبل كبارهم ، فالقرآن هو نفسه لم يتغير بين أيدينا ، لماذا أثر في الصحابة ذلك التأثير العظيم ، ونحن اليوم نرى حالنا من التفرق والتنازع والتعصب والتخالف والبعد عن دين الله والبعد عن منهج الله تعالى، نرى حالنا من التخلف والتأخر عن ركب الحضارة ، نرى حالنا في آخر الأمم ، نرى أحوال المسلمين ، أحوالاً تشتكي إلى الله عزّوجلّ ، أحوالاً مؤسفةً ، نرى فيهم أنهم لا يطبقون تعاليم الإسلام إلا من رحم الله عزّوجلّ ، لا

يطبقون تعاليم الإسلام إلا قليلا ، نرى أن كثيرا من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والسلوكية والفكرية والعقائدية تنتشر بين المسلمين في هذه الأيام ، وفي هذا الزمان ، نرى أن هناك بوناً شاسعاً بين القرآن وبين أخلاق الناس ، وتعامل الناس ، لماذا ؟ مع أن القرآن هو نفسه الذي أثر في الصحابة رضي الله عنهم ، وهو نفسه الذي هو بين أيدينا ، الذي أنزل على محمد ﷺ ، فلماذا يحصل هذا ؟ لماذا نحن الآن في هذا الوضع المؤسف والمحزن ، مع أن القرآن موجود عندنا ومطبوع بأحسن الطباعات ويوزع بآلاف النسخ ، تصل إلى المسلمين جميعا في كل زمان ، وفي كل مكان .

هذا سؤال عظيم ، والجواب عنه عظيم ، والحديث عنه يستحق محاضرات كثيرة ، لكن الفضائل المعروفة للصحابة الكرام تؤكد أن نتساءل : ما هي الأسباب التي جاء بها القرآن ، فيؤثر التأثير العظيم في هذا الجيل المبارك جيل الصحابة ، فخرج هذا الجيل المبارك فضرب للناس أروع مثال ، والنماذج التي لم تتكرر أبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، جيل الصحابة هو الجيل ، جيل الأمة جيل تربى على عين النبي الكريم ﷺ ، رباه أعظم مرب في الأرض ، وأعظم مرب خلقه الله هو محمد ، رباه بماذا أيها الإخوة ؟ رباه بالقرآن العظيم ، فلماذا أثر القرآن

في الصحابة رضي الله عنهم ذلك التأثير العظيم ؟ ونحن والقرآن بين أيدينا ، فنقرؤه صباح مساء لم يحصل فينا ذلك التأثير الكبير.

هناك سببان مهمان:

إنّ له أسبابا كثيرةً ، لكن أذكر لكم سببين فقط مراعاةً للوقت واختصاراً للموضوع ، وأرى أنه من أعظم الأسباب التي أخرجت جيل الصحابة رضي الله عنهم هو ما يأتي .

السبب الأول : أيها الإخوة هو ، لكن افتحوا له آذانكم وقلوبكم ، لعل الله سبحانه وتعالى يجعل فينا ومنا من وفقه الله عزّوجلّ فيتأثر بالقرآن كما تأثر الصحابة ، ونسأل الله أن نكون كلنا كذلك بفضله ومنه وكرمه ، أولا أن الصحابة رضي الله عنهم تلقوا القرآن من النبي الكريم ﷺ بقصد العمل والتنفيذ مباشرة ، العمل الفوري بدون أي تردد ، بدون تسويف ، بدون أي مماطلة ، بدون أي مراجعة ، لا يراجعون النبي الحبيب في القرآن إذا تلا النبي الكريم آية لا يراجعونه ولا يناقشونه ولا يعترضون عليه ولا يبدون لها الآراء والأقوال وكذا وكذا ، والأهواء أبدا ، ينفذونها مباشرة ، يطبقونها مباشرة ، يعملون مباشرة بالقرآن ، فيتلقون القرآن بقصد العمل مباشرة بدون أي تردد ولا مماطلة، فإن الله عزّوجلّ يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ {النساء/٩٢} نفذوا مباشرة وأطاعوا الله وأطاعوا الرسول الكريم ﷺ في كل ما هو فيه ، إذا سمعوا الله يقول : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ﴾{البقرة/٢٧٥}سمعوا كلامه سبحانه وتعالى ونفذوه مباشرة فامتنعوا عن أكل الربا وأكل الأموال المحرمة.

وأنتم تعلمون قصة تحريم الخمر وهي قصة مشهورة ن كيف ؟ أن الله عزّوجلّ لم يحرم الخمر مباشرة ، إذن تدرج تحريم الخمر في مراحل ، فلما جاءت المرحلة النهائية الأخيرة وهي قوله عزّوجلّ في سورة المائدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ {المائدة/٩٠-٩١} فلما سمع الصحابة رضي الله عنهم هذا التحريم الإلهي الصريح للخمر قالوا : انتهينا ربنا ، انتهينا ، وكانت الخمر من أحب المشروبات إلى العرب جميعا ، وكانوا يتفاخرون بها ويحبونها حباً عظيماً حتى إن كثيرا منهم كان يطلب من الناس إذا مات أن يفرغوا على قبره خمرا بشدة حبه من الخمر ، لكن جاء الكلام الرباني : ﴿ **اجْتَنِبُوهُ** ﴾ و ﴿ **هَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ** ﴾ قالوا : انتهينا انتهينا ربنا انتهينا ، وقالوا عن زقاق

الخمر كانت عندهم فكسروها حتى سالت طرقات المدينة بالخمر ، نفذوا الأمر الإلهي مباشرة بدون تردد ، بدون مماطلة ، بدون تسويف[١٥] ، يقول الله عزّوجلّ لهم : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ {النور ٣٠} يغضوا أبصارهم ولا ينظروا إلى ما حفظ الله ، ولو حصل أحد منهم ونظر إلى ما حرم الله فعلا ، فإنه يأتي إلى النبي الكريم مباشرة فيستغفر الله عزّوجلّ فيتوب من هذا الفعل كما هي القصة المشهورة المعروفة ، حينما جاء رجل إلى النبي الحبيب ﷺ ، وقال له : يا رسول الله ! إني خلوت بامرأة وقبلتها فسكت النبي الكريم عليه الصلاة والسلام حتى أنزل الله عزّوجلّ قوله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ {هود/١١٤}

فالصحابة تلقوا القرآن بقصد العمل والتنفيذ والتطبيق المباشر ، لذلك يقول عبد الله بن عباس : إذا سمعت الله يقول : يا أيها الذين آمنوا فأوع لها سمعك وأوع لها سمعك ... افتح أذنك واسمع ؛ افتح قلبك واسمع ، فإنه إما خير تؤمر به ، أو شر تنهى عنه[١٦] ، هذه الأوامر في القرآن خير يأمرنا الله به أوشر

---

[١٥] سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة المائدة .

[١٦] الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال السيوطي (م ٩١١) ج/١/٢٥٢، طبع دار الفكر ١٩٩٣، بيروت.

يحذرنا الله منه ، ما هو دورنا ؟ وما هو عملنا ... أن نطبق مباشرة بدون تسويف ولا مماطلة ،قال الله تعالى: يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، خذ الكتاب بقوة، هذا هو أخذ الكتاب بقوة أن تعمل بأوامر الله مباشرة بدون تسويف ، ولا مماطلة، بدون اتباع شهوات النفس ومرضاة النفس ، لا تقدم أهواء النفوس على أوامر الله عزّوجلّ ، ولا تتقي ما حرم الله بداعي الهوى والشهوة ، لذلك أثر القرآن تأثيراً عظيماً في الصحابة رضي الله عنهم وأرضاه ، جاء رجل إلى النبي الكريم ﷺ وفي يده خاتم من ذهب ، فأراد أن يصافح النبي الحبيب فأعرض عنه... فسأل عنه فقالوا له : إن رسول الله حرم الذهب على الرجال ، فماذا فعل هذا الرجل ، ماذا فعل ، هل سوّف ، هل ماطل ، هل اعتذر وبرر بمبررات أو قال : لا ... مرة ، إن شاء الله أتوب أو بعد شهر أتوب أبدا ، أخذ خاتم الذهب وقذف بالأرض ، وقال : والله لا ألبس ، وهو صدقة في سبيل الله[١٧] .

هذه أيها الإخوة ! هذه المواطن المشرقة والنماذج الرائعة لصحابة رسول الله ﷺ الذين عملوا بالقرآن وطبقوه مباشرة ، لذلك كان القرآن يؤثر في الصحابة تأثيراً كبيراً ، ويحدث عند المراجعة منهم تغييرا هائلا في عقلياتهم وفكرهم وفي سلوكهم ،

---

[١٧] صحيح مسلم باب في طرح خاتم رقم الحديث : ٥٥٩٣ .

بمجرد أن يسمع واحد منهم آية واحدة من كتاب الله عزّوجلّ ، يتغير هذا الصحابي ويتغير موقفه ويتغير مبادئه بهذا القرآن ، ويتأثر بهذا القرآن ، وقد ذكر ذلك الحسن البصري رحمه الله حينما ذكر أن من صفات حامل القرآن أنه يعرف بليله ونهاره ويعرف بسكوته ، حين الناس يتحدثون ، وبحزنه إلى الناس وهم يفرحون ، وببكائه حين الناس يضحكون لأنه يتأثر بالقرآن ، هذا هو السبب الأول أيها الإخوة باختصار شديد .

السبب الثاني الذي أخرج جيل الصحابة رضي الله عنهم وجعل القرآن يوجه الجيل ذلك التوجيه العظيم أنهم أخذوا القرآن وتلقوه وحده ، لاشئ معه ، أخذوا القرآن من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام صافياً ، نبعاً صافيا ، واضحا بينا ، ليس معه أي شئ آخر ، وشرح النبي الكريم القرآن ، وحديثه وسيرته وأخلاقه بيان وشرح للقرآن ، فأحب الصحابة هذا القرآن ، وليس معه شيئ آخر ، فليس مع القرآن أقوال أخرى ، ولا آراء أخرى ، ولا أهواء أخرى ، ولا مذاهب أخرى ، ولا فلسفات ولا أمور أخرى ، كان القرآن هو القرآن وحده ، أقبلوا عليه وحده ، وجهوا اتجاههم إلى القرآن وحده ، لذلك أثر فيهم تأثيراً عظيماً ، أخذ الصحابة رضي الله عنهم هذا القرآن وتركوا كل عاداتهم وتقاليدهم ، ومعارفهم وعلومهم التي

كانوا عليها في الجاهلية ، ورموها خلف ظهورهم ، وتركوها وراءهم ، وأقبلوا على هذا القرآن وحده، ليس معه شيئ ، لذلك تأثروا بالقرآن حق التأثير ، لأنهم أقبلوا عليه ، وقلوبهم خاوية من كل شئ إلا القرآن والسنة ، لم يشتغلوا بشئ إلا بالقرآن ، والسنة شارحة للقرآن ، مبينة له ، ومكملة للقرآن ، وهي مصدر أساسي للإسلام والشريعة الإسلامية ، لكن سلام الله تعالى عليهم أنهم فرغوا قلوبهم من كل ما كانوا يعتقدونه في الجاهلية ، وأخلوها وجعلوها خالية ، فجاء القرآن فنفث فيها العلوم والخيرات والمعارف ، وأنفذ فيها هذه المعاني الجميلة ، والقرآن حينما أخذه الصحابة رضي الله عنهم اعتمدوا على أن الهداية كل الهداية في القرآن ، وليس في شيئ آخر ، اعتقدوا اعتقاداً جازماً أن النور كله في القرآن ، وليس في شيئ آخر ، اعتقدوا اعتقادا جازماً أن الفلاح كله في القرآن وليس في شيئ آخر ، اعتقدوا أن الخير والبركة والنصر والتأييد في القرآن ، وليس في شئ آخر ، لذلك أفلحوا كل الفلاح ، وأثمر فيهم كل أنواع الثمار الطيبة الزاهية المباركة ، فعمّر القرآن في قلوبهم شجرة العلوم والمعارف الإلهية النبوية المباركة ، وأثمر فيهم الأخلاق الفاضلة والتعامل الفاضل والأخلاق السامية في كل مجالات الحياة ، يقول الله عزّوجلّ :﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن

فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ {الأعراف /١-٣} اتبعوا هذا المصدر ، فالتلقي والاستدلال وكل ما تتلقاه من العلوم والمعارف إنّما هو من القرآن ، هذا هو الواجب ، ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ، أي قليل من الله يتذكرون هذا التذكر ، ويعلمون أن القرآن هو المصدر للعلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والعقيدة والأحكام ، جاء عمر إلى النبي الكريم ﷺ وبيده ورقة من التوراة وظن عمر رضي الله عنه أن النبي الكريم سيفرح حينما يجد ورقة التوراة ، لكنه عليه الصلاة والسلام غضب غضبا شديدا .

تفضيل العلوم على القرآن سبب تخلف المسلمين:

أما إذا بقينا على ما نحن عليه في هذه الأزمان المتأخرة ، نخلط بالقرآن معارف أخرى وينابيع ، تشارك القرآن في الهداية وهي ليست مثله أصلا ، ولا تقرب منه ، ونحن الذين أعطيناها هذه الفرصة ، أعطينا هذه الينابيع الأخرى أن تصب في قلوبنا ، فلم يعد للقرآن ذلك التأثير العظيم ، لم يعد للقرآن ذلك السحر الذي سحر به الصحابة ، وذلك الأثر العظيم ، قد خف أثر القرآن في قلوبنا .

لماذا أيها الإخوة ! في هذا العصر الذي نعيش فيه ، الناس

يتأثرون بأشياء كثيرة ، ويستقون منها معارفهم وعلومهم ويستقون منها تعاليمهم ومبادئهم ، أصبح الناس يتأثرون بكثير من المذاهب الباطلة المنتشرة في العالم الإسلامي وغيره ، ويعتقدون في كثير من الرجال أنهم أهل الصلاح والدعوة والحق ، وأنهم أهل الحكمة وغير ذلك ، ويتأثرون بهم ، الناس يتأثرون في العصر الحاضر بكثير من القنوات الفضائية ، يتأثرون بها ، ويأخذون منها معارفهم وعلومهم وأفكارهم ومبادءهم ، ويتأثرون بكثير من مواقع الإنترنت فيتأثرون بها ، ويعتقدون ما فيها أنه هو الحق ، فتؤثر في علومهم وتؤثر في معارفهم وتغير عقيدتهم ، وتغير سلوكهم ، وتغير مفاهيمهم ، يتأثرون بكثير من النظريات الغربية الهدامة التي أتت إلينا من الغرب ، ومن عقول الغرب وحضارة الغرب، سواء كان في العقيدة أو في الفكر ، وينظرون إليها نظرة إكبار وإجلال ، واعتراف واعتزاز، •ويتركون القرآن ، ويعتقدون أن القرآن يقرأ لمجرد البركة فقط ، لكي تحل البركة ولتحل السكينة والبركة من الله عزّوجلّ ، يقرءون القرآن ، لذلك تجد بعضهم لا يقرأون القرآن إلا يوم الجمعة فقط ، أو في رمضان فقط ، وبعضهم لا يسمعون القرآن إلا في مناسبات معينة مثل في حفلات العزاء والمآتم ، أو في بعض المناسبات التي يحضرونها ، يسمعون القرآن ، ولا يعتقدون

أن القرآن هو منهج حياة ، لا يعتقدون ولا يظنون أن القرآن فيه الخير والنور والبركة لهذه الأمة ولهذه البشرية جمعاء ، فنحن في زماننا لم نعد نتأثر بالقرآن ، لماذا ؟ لأن هناك ينابيع أخرى أصبحت تشارك القرآن ، وتؤثر في الناس ، وأقبل الناس على هذه الينابيع الزائفة الباطلة ، وتركوا كتاب الله عزّوجلّ ، فلم يحصل فيهم ذلك التأثير العظيم الذي حصل في الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ، والقرآن لم يؤثر في كثير منا ، لأن كثيراً منا أصبح لا يطبق تعاليم القرآن ، ولا يمتثل أوامر القرآن ولا ينتهي عن نواهيه ، إلا من رحم الله عزّوجلّ منا .

الحديث أيها الإخوة طويل ، وذو شجون ، والتفاصيل كثيرة ، ولكن لعله فيما ذكر فيه كفاية ، ولا أحب أن أطيل عليكم ، وفيما ذكرته أرجو أن تكون فيه كفاية وخير ، وفيه هداية لي ولنفسي ولإخواني ومن كان حاضراً في هذا اللقاء المبارك الطيب ، أسأل الله عزّوجلّ أن يوفقني وإياكم لكل خير ، وأن يرزق الإخلاص والصدق ، وأن يفتح علينا من فتوحاته ومن بركاته سبحانه وتعالى ، إنه على كل شئ قدير .

وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثانية

السيرة النبوية والسلام العالمي

السيرة النبوية والسلام العالمي *

الحمد لله رب العالمين وﷺ وبارك على نبينا محمد وعلى آله وذرياته الطيبين والطاهرين وسائر صحابته الكرام الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

شكر وتقدير

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

أيها الإخوة الأكارم والمشايخ والفضلاء والعلماء في هذه الليلة المباركة الطيبة في هذا الحفل المبارك في مؤتمر "السيرة النبوية والسلام العالمي"!

أشكر الله سبحانه وتعالى، الذي يسر هذا اللقاء، وذلل العقبات وسهل الأمور حتى وصلنا إلى هذا المكان والتقينابكم أيها الإخوة الأحباب! والفضل لله وحده لا شريك له، وذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما، وأشكر جميع من كان سببا في هذا اللقاء ، وفي هذا الحفل البهيج ، في هذا المكان العظيم ، وفي هذه الجموع المباركة، وهذا الحشد الهائل ، أشكر كل من كان سببا في ذلك، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ العلامة محمد

---

* محاضرة قيمة قام بإلقائها فضيلة الإمام في مصلى عيش باغ ، بلكناؤ ، يوم الجمعة ٤/مايو ٢٠١٢م بعد صلاة العشاء ، و استمع إليه الحضور بكل شوق و رغبة ، وقد حصلنا على قرص هذه الخطبة من الشيخ خالد رشيد الفرنكي محلي فنشكره على ذلك .

الرابع الحسني رئيس ندوة العلماء، والشيخ سعيد الأعظمي سدده الله ، والشيخ سلمان الندوي وفقه الله ، وفضيلة الإمام إمام المصلى الشيخ خالد رشيد وفقه الله، وأشكرهم على جهودهم التي يسرالله تعالى بها مثل هذا اللقاء .

ولا ننسى أيها الإخوة شكر خادم الحرمين الشريفين وفقه الله الذي أمر ووجه بهذه الزيارة المباركة إلى مدينة لكناؤ ونشكر السفارة السعودية في نيو دلهي وعلى رأسها سعادة السفير وفقه الله ، وسعادة الشيخ أخي أحمد الرومي وفقه الله على جهوده المباركة في تيسير هذا اللقاء وتسهيل مهماته وتذليل عقباته ، فلهم منا الشكر الجزيل، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله كما قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم[1] .

أيها الإخوة الفضلاء!

نحن في هذه الليلة نجتمع ونلتقي في هذا المؤتمر المبارك الذي يتعلق بسيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، والحديث عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حديث ذو شجون ، وحديث حبيب إلى النفس، قريب إلى الفؤاد، تتلذذ به القلوب و العقول قبل الأرواح والنفوس ، كيف لا ؟ وهو حديث عن أعظم حبيب وأعظم خليل خلقه الله عزوجل، الذي بعثه إلى

---

[1] رواه الترمذي عن أبي سعيد ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، رقم الحديث : ١٩٥٥ .

الناس هاديا ومبشرا ونذيرا وسراجا منيرا، إنه محمد ﷺ نبي العرب والعجم ، وإمام الرسل وسيد الأنبياء والأولياء والصالحين، وسيد البشرية جمعاء ، إنه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أكرم الخلق على الله، وأفضل الخلق عند الله، وسيد البشر عند الله، لم يخلق الله أعظم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو نبي البشرية جمعاء ، أعظم الرسل وأجل الأنبياء صلى الله وسلم وعلى آله وصحابته والتابعين .

السيرة النبوية أعظم علوم الإسلام:

السيرة النبوية أيها الإخوة الكرام ! من أعظم علوم الإسلام، من لم يفهم السيرة.ولم يدرس السيرة فإنه قد فاته علم عظيم وعلم غزير ، وقد فاته حظ كبير جدا من المعرفة ومن فهم هذا الدين، لم نستطع أن نفهم هذا الدين حق الفهم إلا إذا درسنا سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعرفنا ما فيها وعرفنا تفاصيلها وجزئياتها ودقائقها، هذه السيرة المباركة اعتنى بها العلماء اعتناءً بالغا وعناية كبيرة واهتموا بها اهتماما عظيما، هذه السيرة المباركة هي وصف دقيق لحياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته ﷺ إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى ، وصف لأدق التفاصيل في حياة محمد عليه الصلاة والسلام، حتى من قبل أن يولد ، هناك وصف دقيق لحالة

العرب قبل ولادته ﷺ ، وكيف كان الناس في جميع أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ووصف دقيق لوقت ولادته ونشأته ﷺ ثم شبابه و كهولته وأسرته وزواجه وأولاده وأبنائه، ثم مغازيه صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته عليه الصلاة والسلام، ولباسه، وماذا كان يأكل؟ وماذا كان يشرب ؟ وكيف كان يحب عليه الصلاة والسلام ؟ ولباسه ومركبه ونعاله وشعره وصفة وجهه عليه الصلاة والسلام وصفه يده وصفة رجله وصفة بطنه و صدره ، يقول على بن الحسن رضي الله عنه : كما نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن ، كما كانوا يتعلمون السور كذلك كانوا يتعلمون المغازي والسير، ويقول الزهري رحمه الله : في علم المغازي علم الدنيا والآخرة ، المغازي فيها علم الدنيا والآخرة كما قال الزهري، ويقول إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ، يعدها علينا ويقول : هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها.

الاقتداء بالنبي ﷺ أجل أهداف السيرة :

أيها الإخوة !

إن دراسة السيرة من أهم الواجبات على الناس جميعا ، وعلى العلماء، والدعاة والمصلحين على وجه الخصوص ،

فلماذا ندرس هذه السيرة ، ولماذا نقرؤها ولماذا نعلمها الناس ؟ ولماذا نتدارسها ؟ هناك أهداف كثيرة جدا ، أختصرها لكم في هذه النقاط التالية:

أن ندرس السيرة لأجل أن يحصل الاقتداء ، والائتساء بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعلوم أن الواجب على المسلم أن يجعل النبي ﷺ هو قدوته وهو منارته التي يتجه إليها بالاقتداء والائتساء والتعلم والتفقه والفهم، فيجعل النبي هو محل قدوته ومحل أسوته عليه الصلاة والسلام كما قال الله عزوجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب-٢١) وبذلك يكسب محبة الرسول ﷺ ، فكل من قرأ السيرة وتعلم تفاصيل السيرة ودرس السيرة ، لا شك أنه سوف يحب هذا الرسول العظيم لما يرى في السيرة من نماذج مشرقة ، وتعاليم عظيمة، ولما يرى من هذه الأخلاق الراقية التي لا توجد إلا في سيرة محمد ﷺ، كما أن هذه السيرة المباركة تقدم لنا تفاصيل دقيقة ومعلومات وفيرة عن أولئك القوم الذين كانوا حول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهم صحابة رسول الله عليه وآله وسلم، أولئك الجيل الفريد وأولئك القوم الذين لم يتكرر مثلهم على مر التاريخ .

السيرة مصدر حياة الصحابة :

حينما ندرس السيرة و نتعلم ونعرف أحوال أولئك القوم المعروفين بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزداد حياتهم معرفة بهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، الداعية إلى الله يجد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أمورا كثيرة في الأساليب وفي الوسائل وتاريخ الدعوة ويأخذ من سيرة محمد ﷺ التجارب النافعة والخبرة المفيدة ليستخدمها في دعوته إلى الله عزوجل ، فيستفيد من ذلك فائدة كبرى، المربي الذي يربى الناس يجد في سيرة المصطفى ﷺ ألوانا من التربية والمفاهيم التربوية العظيمة التي يستفيد منها في تربية الناس وتوجيه الناس ، بدلا من أن يذهب إلى نظريات غربية كافرة ، لا تسمن ولا تغني ولا تنفع شيئا، الواجب أن يذهب المربون إلى سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام فيتعلموا منها المفاهيم التربوية، والنظم التربوية الراقية التي هي بتوجيه من الله عزوجل وهداية منه سبحانه وتعالى.

التربية بالقدوة :

ومنهج النبي ﷺ في تربية الناس يقوم على أسس كثيرة وركائز متينة متعددة، من أهمها وأجلها التربية بالقدوة، فكان عليه الصلاة والسلام قدوة للصحابة ، كان خلقه القرآن ، كان

قرآنا يمشي إذا أمرهم بأمر كان هو عليه الصلاة والسلام أول من يفعل هذا الأمر، وإذا نهاهم عن أمر كان عليه الصلاة والسلام هو أول من ينتهي عن هذا الأمر، فلذلك كانت تربيته ﷺ لهم بالقدوة التي لها أثر كثير جدا في تربية الصحابة وفي تمسكهم بدين الله.

إقامة الأخوة الإيمانية :

ثم كان يربيهم بالأخوة الإيمانية ، تلك الأخوة التي غرسها النبي ﷺ في الصحابة غرساً عظيماً، فأنبتت ثمارا يانعة طيبة ، شهد التاريخ نماذج وقصصا عجيبة للأخوة الإيمانية التي غرسها فيهم النبي ﷺ ورباهم عليها حتى أصبحوا جيلا فريدا، أصبح الصحابي يحب أخاه حبا عظيما.

وأنتم تعلمون ما حصل لما وصل النبي ﷺ إلى المدينة بعد الهجرة النبوية حيث آخى بين الصحابة والمهاجرين فظهرت صور من الأخوة ومن التضحية والبذل، صور لا توصف، ولا يمكن أن تتكرر أبدا ، يأتي الأنصاري إلى المهاجري فيقول له: هذا مالي ، فيقسمه بينه وبين أخيه المهاجري نصفين ويعطي المهاجر نصف ماله ويأتي إليه ويقول له: عندي امرأتان ، اختر إحداهما حتى أطلقها فتتزوجها.

إلى هذا الحد أيها الإخوة من صور الأخوة المشرقة التي رباهم عليها النبي ﷺ، كل ذلك كان له أثر كبير في حصول الأمن والأمان والسلام في مجتمع المدينة حينما رباهم على الأخوة وغرس فيهم هذه الأخوة الإيمانية العظيمة، ولذلك امتن الله عزوجل على المؤمنين في ذلك الوقت بقوله العظيم: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (آل عمران-١٠٣).

التوحيد منطلق دعوة النبي ﷺ:

ومن معالم منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التربية أنه جعل منطلق دعوته ومنطلق تربيته هو التوحيد، توحيد الله عزوجل، هذا التوحيد الذي إذا طبقته الأمة فإنه سوف يكون فيها من الأمن والأمان والخيرات والبركات والطمأنينة والسكينة والسعادة ، أمر لا يوصف، فلذلك كان من معالم منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تربية الصحابة أنه جعل منطلق الدعوة وأساس الدعوة و أول الدعوة وأوثق الدعوة وآخر الدعوة الدعوة إلى التوحيد ، مكث في مكة عليه الصلاة والسلام ثلاث عشرة سنة، يدعوهم إلى تصحيح العقيدة وإلى توحيد الله : توحيد الألوهية ، و توحيد الربوبية ،

وتوحيد الأسماء والصفات ، وإلى التوجه إلى الله تعالى ونبذ الشرك ، وعبادة الأوثان في جميع صورها ، وفي المدينة المنورة كان عليه الصلاة والسلام يعيد التربية بالتوحيد ويكررها حتى مات عليه الصلاة والسلام، فلذلك كانت التربية بالتوحيد هي أول الدعوة، وأوثق الدعوة وآخر الدعوة ، لم يترك عليه الصلاة والسلام التذكير بالتوحيد في كل المناسبات .

في السيرة النبوية أسوة حسنة :

و في السيرة النبوية يجد الزوج أعظم مثال للزوج الصالح الحكيم العاقل الرحيم، فقد كان عليه الصلاة والسلام أعظم مثال ، عرفته البشرية للزوج الرحيم العطوف الودود الخلوق الذي يتحبب إلى زوجاته، كانت له ﷺ إحدى عشرة زوجة ، ومات عن تسع عليه الصلاة والسلام، وكانت زوجاته كلهن يحببن حبا عظيماً ، يحببنه حبا عظيما ، لماذا ؟ للأخلاق العالية والكرم والجود والبذل والإحسان والعطف والرحمة والحب والحنان الذي كان عليه الصلاة والسلام يؤلف بين زوجاته بهذا الحب والرحمة والعطف والحنان، فكان ﷺ خير مثال وأعظم مثال للزوج الصالح، فالزوج حينما يقرأ في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يجد هذه الأمثلة النيرة والنماذج الراقية و يقتدي به عليه الصلاة والسلام، الوالد الأب حينما

يربي أبناءه يجد في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام صوراً مشرقةً عظيمةً لتربية النبي عليه الصلاة والسلام لأولاده وبناته ﷺ وآله وسلم..

والأمثلة كثيرة جدا ، ولكن الوقت لا يسعفنا أيها الإخوة بضرب هذه الأمثلة وذكرها والتفصيل فيها، ولكني أشير إلى هذه النقاط إشارات سريعة حتى أفتح المجال لجميع الإخوة ، فيرجعوا إلى قراءة السيرة النبوية ليجدوا هذه الأمثلة ظاهرة وواضحة وتطبيقا عملياً لهذه النقاط العظيمة، القائد المحارب يجد في سيرة المصطفى ﷺ يجد فيها نظاما محكما وترتيبا عجيبا ، وكان ﷺ له منهجه الفريد في ترتيب الجيوش وتجهيز الجيوش ، وفي الحرب والمعارك ، وكانت له استراتيجيات عسكرية وأمنية ، وكان عليه الصلاة والسلام يدبر أمر جيشه ﷺ كأنه قد درس في أرقى المعاهد العسكرية وهو لم يدرس في ذلك عليه الصلاة والسلام ، إنما كان الله هو الذي يعلمه سبحانه وتعالى ، فالقائد والمحارب يجد في سيرة المصطفى ﷺ ذلك كله، السياسي والإداري يجد في سيرته ألوانا من المعرفة السياسية والإدارية والخبرة والمعرفة أذهلت كل من قرأ سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفي هذه السيرة تجربة وخبرة عظيمة لكيفية التعامل مع الخصوم ، فكان ﷺ يعامل عبدالله بن أبي كما هو

معلوم يعامله معاملة خاصة ، محكمة حكيمة عطرة ، وصبر على عدواته وصبر على أذيته حتى توفاه الله عزوجل، العلماء يجدون في سيرة المصطفى ﷺ الشرح والبيان للقرآن ، فالسيرة ترجمة عملية تطبيقية للقرآن الكريم ولآياته يجد القارئ في السيرة أسباب النزول، و الناسخ والمنسوخ والمكية والمدنية، والعام والخاص، والمطلق والمقيد ، يعرفون ذلك من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم فيشرحون بذلك القرآن ويفسرون القرآن بسيرته صلى الله عليه وآله وسلم، التجار وأصحاب الأموال والأثرياء والاقتصاديون يجدون في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام الهدى الكامل والتام في المجالات الاقتصادية والمعاملات المالية يجدون الهدي التام والنظام الاقتصادي العظيم الذي وضعه النبي ﷺ ، يتعلم الناس أيضا من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أصول الأخلاق الفاضلة ، نجد في سيرته ﷺ أخلاق التواضع والسكينة والطمأنينة وترك الكبر، وترك الحسد والفظ وغير ذلك ، نجد فيها الحب والرحمة والعطف والحنان، نجد فيها الأمن والأمان والسلام والإسلام، فسيرته ﷺ هي مدرسة للأخلاق الفاضلة، العلماء أيضا يجدون في سيرة المصطفى ﷺ عوامل النبوغ، عوامل النهوض من التخلف والتأخر ، يجدون فيها عوامل النجاح، في إقامة الدولة

الإسلامية ، ويجدون فيها أسباب سقوط هذه الدول فيجتنبونها ويستفيدون من سيرة المصطفى ﷺ كل خير وتنظيم ومعرفة، المسلمون يتعلمون من السيرة حسن التخطيط والإدارة لأعمالهم ومشروعاتهم ومستقبلهم، فقد كان ﷺ أعظم من يخطط لمشروعاته، ومستقبله، وكان يحرص على دقة التنظيم وحسن التخطيط عليه الصلاة والسلام، ولا أدل على ذلك من الهجرة النبوية الهجرة المباركة، لو قرأنا الهجرة وتفاصيل الهجرة لرأينا والله أيها الإخوة عجبا من العجاب في دقة التنظيم وخسن التخطيط لهذه الهجرة ، لهذا المشروع العظيم للهجرة النبوية ، خطط لها ﷺ من قبل أن يؤمر بالهجرة بشعور ورتب لها أحسن ترتيب ، نظمها أحسن تنظيم وفي أثناء الهجرة حتى لما وصل إلى المدينة ، كل ذلك يظهر فيها من حسن التخطيط والتنظيم والإدارة شيء يفوق الوصف والخيال.

فالسيرة النبوية أيها الإخوة غنية غناءا عظيما بكل المعرفة والعلم والفهم في كل مجالات الحياة ، في المجالات السياسية ، في المجالات الأسرية، في المجالات الفكرية، في المجالات الثقافية ، في المجالات التجارية ، في المجالات الأسرية، في المجالات الأخوية ، في جميع مجالات المجتمع ، في كل مجالات الحياة، نجد أن السيرة النبوية المباركة مدرسة عظيمة ، غنية كل الغناء ، من النماذج

والتخطيط والتنظيم والمعرفة والعلم والفهم ، لذلك كانت السيرة النبوية من أعظم العلوم الإسلامية ، ومن أجل المعارف الدينية التي لا يجوز أبدا وأقولها صراحة: لا يجوز أبدا للمسلمين أن يهملوا السيرة وأن يقرأوها لمجرد البركة فقط ،كلا! ؟ يقرءونها للعلم والمعرفة والعلم والفهم، والتخطيط وأخذ النماذج من هذه السيرة المباركة في كل مجالات الحياة، لذلك يقول الزهري كما ذكرنا سابقا: في المغازي علم الدنيا والآخرة ، هذا هو الفهم الصحيح، هذا هو التعامل الصحيح أن نقرأ السيرة وندرسها ونتأملها ونحفظها، ونفهمها ونعرف ما فيها من الحكم والغايات والدلالات والاستدلالات والمعارف والتنظيم وحسن التخطيط والمعرفة والخبرة والتجارب النافعة والمفيدة لنطبقها في حياتنا، لنطبقها في مجتمعاتنا، لنطبقها في مشروعاتنا الدعوية، لنطبقها في مناهجنا الإصلاحية لنطبقها في مدارسنا، في جامعاتنا، في تعاملنا، في أخلافنا مع الناس في كل مجالات الحياة.

في السيرة علم الدنيا و الآخرة :

فالسيرة أيهاالإخوة ! هي علم الدنيا والآخرة ، و لذلك لا يجوز أبدا أن نهملها أو أن نقرأها لمجرد البركة فقط ، ثم نتركها و نهملها ونجعلها فوق الرأس ونجعلها مهملة لا نبالي بها، فهذه

السيرة المباركة فيها كل هذا الأمر، والحديث المفصل عن الجوانب التي نستفيد منها في السيرة النبوية في حياتنا حديث طويل، وحديث لا يسعه هذا المقام، إنما أختصر في هذه العجالة أيها الإخوة! مما يتعلق بأمرمهم، لا هو علاقة بموضوع المؤتمر الذي اجتمعنا في هذه الليلة له: مؤتمر السيرة النبوية والسلام العالمي، بل يغطي جميع جوانب السيرة ، والسيرة النبوية حينما نقرؤها في جوانبها الكثيرة نجد لها أثرا كبيرا في تحقيق السلم والسلام العالمي و الأمن والأمان في العالم كله وفي العالم الإسلامي على وجه الخصوص ، سأتناول في هذه الدقائق جانبا واحدا فقط من جوانب السيرة النبوية، وعمل النبي عليه الصلاة والسلام وتعامله مع غير المسلمين لنعرف كيف أن هذا الجانب كان له أثر كبير جدا في تحقيق السلام ، الأمن والأمان في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد مماته في عهد الصحابة رضى الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان ، ويوم أن تخلى المسلمون عن هذا المنهج منهج السيرة النبوية فرقوا في هذا المنهج في التعامل مع غير المسلمين على الطريقة النبوية المباركة، يوم أن فرقوا في ذلك ذاقوا الويلات وذاقوا الأمّرين ، و ذاقوا من الأذى والتشهير وغير ذلك ما لا يوصف، ومالا يمكن أن يفصل أو يذكر في هذا المقام ، فسأختصر في هذه الدقائق على

هذا الجانب لننظر كيف كانت معاملة النبي ﷺ لغير المسلمين لننظر كيف كانت سماحته صلى الله عليه وآله وسلم لغير المسلمين، سأعرض هذه القضية المهمة في نقاط مختصرة:

سماحة النبي مع غير المسلمين

أولا من صور سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين مما كان له الأثر الكبير في حصول السلام والأمن والأمان أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يجبر أحدا على الدخول في الإسلام أبدا ، لم يكره أحدا على أن يسلم ، إنما كان إسلام الناس بطوع اختيار هم وإرادتهم وقناعتهم تطبيقا لقول الله عزوجل: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ ، وهناك أمثلة كثيرة على هذا الأمر، عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام ، بل أسلم بطوع اختياره وبإرادته المحضة، والنبي ﷺ حينما كان يعرض نفسه على القبائل في مكة لم يكن يخبر القبائل على الإسلام، إنما كان يعرض دعوته ويقول: بعثني الله لأبلغ رسالته.

عدم التعرض بالأذي للمعاهد أو الذمي:

ثانيا إن النبي ﷺ حرم التعرض بالأذى سواء كان أذى قوليا أو أذى فعليا على كل معاهد أو ذمي أو مستأمن ، دخل ديار الإسلام والمسلمين، حرم التعرض له بالأذى، لا يجوز أبدا

أن يتعرض الذمي أو المعاهد أو المستأمن، لا يجوز أبدا أن يتعرض لهذا ، حرم ذلك النبي ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه عند البخاري وغيره قال: من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة[٢] ، فالجنة حرام على من قتل معاهدا أو ذميا أو مستأمنا بغير حق، وعلى من آذى هذه الأقليات التي تعيش في ديار المسلمين، فلا يجوز أبدا التعرض لها بالقول، ولما جاءه رسل كسرى جاءه برسالة من كسرى وتكلموا معه بكلام غليظ نظر إليهم النبي ﷺ وقال: والله لو لا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما، فهذا دليل على أن المعاهد المستأمن في ديار الإسلام لا يجوز أبدا التعرض له ، وهذا من سماحة الإسلام وسماحة النبي ﷺ مما يؤكد على أن السيرة من أعظم ما يبث السلام والأمن والإيمان في المجتمعات الإسلامية وغيرها .

القصد والاعتدال في العلاقة مع غير المسلمين :

ثالثا أمر النبي ﷺ بالقصد والإحسان والصبر والرحمة والجود والإكرام للكافر أو المشرك الذي لم يصدر منه حرب ضد الإسلام والمسلمين، فإذا كان بجوارنا أو في مجتمعنا كافر أو مشرك ولم يصدر منه شيئ من الأذى ومحاربة المسلمين،

---

[٢] رواه البخاري باب اثم من قتل معاهدا بغير جرم م ٢٩٩٥

فالواجب أن نعامله بالحسنى ونعامله باللين والعطف والرحمة ، حتى لعل الله أن يهديه بالإسلام ، يقول الله عزوجل : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة ٨-٩) جاء أبوسفيان رضي الله عنه يوم أن كان مشركا ، جاء يزور ابنته أم حبيبة ، التي هي زوجة رسول الله ﷺ فأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ فمنعته أم حبيبة فغضب من ذلك أبو سفيان واشتكى إلى النبي عليه الصلاة و السلام، فأمرها النبي عليه الصلاة والسلام أن تحسن إليه حتى وإن كان مشركا، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها استأذنت في النبي صلى الله أن تحسن إلى أمها وأن تصلها بالإنفاق والبر والصلة ، فأمرها النبي عليه الصلاة والسلام أن تحسن إليها بالإنفاق و البر والصلة وحسن الكرم والجود معها مع أنها كانت مشركة.

عدم التعرض لدور العبادة :

رابعا حرم النبي ﷺ التعرض لدور العبادة المقامة أصلا لأصحاب الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية، وغيرها، إذا كانت مقامة في الأصل من قبل أن يأتي الإسلام، فالإسلام حرم أن نتعرض لهذه الدور بالأذى أو نهدمها أو نخربها، لا

يجوز ذلك أبداً ، فهذا من سماحة الإسلام، ومن سماحة النبي ﷺ كما قال أبو بكر الصديق رضي الله لقائد جيوشه قال له: إنكم ستمرون على قوم في صوامع لهم: احتبسوا أنفسهم فيها ، يقول: فدعوه واتركوهم حتى يميتهم الله فيها.

تحريم قتل النساء والصبيان وغيرهم :

خامسا في وقت الحرب والقتال مع المشركين حرم النبي ﷺ قتل النساء والصبيان والشيوخ والمرضى وذوي العاهات وحرم التمثيل بجثث القتلى من المشركين، وتشويه الجثث، وحرم قتل الحيوانات ، وقطع الأشجار والتخريب، ونهى عن ذلك أشد النهي عليه الصلاة والسلام، وحرم قتل من طلب الأمان، ووضع السلاح ونطق بالإسلام، وكل ذلك من سماحة الإسلام، وسماحة النبي ﷺ في وقت الحروب والقتال، مما يؤكد على أن السيرة النبوية من أعظم ما يحقق الأمن والأمان والسلام العالمي.

العدل والإنصاف مع غير المسلمين

سادسا: أوجب النبي ﷺ استعمال العدل والقسط في التعامل مع غير المسلمين وحرم الظلم والاعتداء وانتهاك حرمات غير المسلمين وأخذ أموالهم وسرقتها ونهبها والتعرض لنسائهم وصبيانهم وبناتهم، بعض الناس يظن أن هذا ما دام أنه كافر فيجوز أن نقتله أو أن نأخذ ماله أو أن نسرق ماله أو نغتصب

نساءه ونتعرض لبناته، لا يجوز ذلك أبداً ما داموا مستأمنين ومعاهدين، يجب أن نعاملهم بالعدل والقسط والإحسان و البر وأن لا نتعرض لهم لأنهم مشركون ، كما قال الله عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة : ٨).

التعايش السلمي :

سابعا: ضرب النبي ﷺ في المدينة أروع الصور والنماذج في التعايش مع اليهود والنصارى والتسامح معهم ، وقد كان جاره يهوديا كما هو معلوم، وكان هذا اليهودي يقدم للنبي ﷺ الهدايا ويعزمه في الولائم ويذهب إليه النبي ﷺ ويأكل من طعام هذا اليهودي ويتحبب إليه، ويتودد إليه، ولما جاء وفد النصارى، نصارى نجران ، لما جاءه إلى النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة سمح له أن يدخلوا المسجد النبوي، مع من سمح لهم أن يقيموا شعائر صلواتهم وتراتيلهم في المسجد النبوي ولم يعنفهم ولم يمنعهم من ذلك، وكل ذلك من أعظم صور التسامح والرحمة النبوية.

فأين من يدعي أن دين محمد ﷺ دين الإقصاء والتطرف والغلو؟ أين من يدعي أن دين محمد ﷺ هو دين الإرهاب والكراهية، ونشر الكراهية في الناس؟ كلا والله، إن دين محمد

ﷺ وسيرة محمد ﷺ هي أعظم نموذج للحب والتسامح والود والرحمة والسماحة والسلام، والأمن والامان.

تعامل النبي ﷺ مع الأسرى :

ثامنا : تعامله ﷺ مع الأسرى في الحروب تعامل عظيم ونموذج فريد لم يتكرر أبداً ، ولم يحصل قبله عليه الصلاة والسلام ، تعامل الراقب، تعامل الرحيم، وإذا عرفنا كيف عامل أسرى بدر في غزوة بدر حينما أسر المشركون عاملهم أحسن معاملة ولاطفهم وتعامل معهم أحسن معاملة ، فكان عليه الصلاة والسلام يقبل منهم الفدية ويطلب منهم أن يعلموا صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، فإذا علموا عشرا من صبيان المسلمين أعتقه وتركه عليه الصلاة والسلام ، تعامله عليه الصلاة والسلام مع سهيل بن عمرو حينما حرض عليه بعض المسلمين، قالوا له: يا رسول الله ! انزع ثنيتين ، انزع ثنيتين ، لأنه كان يخطب ضد الإسلام والمسلمين، فرفض النبي ﷺ أن يفعل ذلك مع سهيل بن عمرو ، تعامله ﷺ مع أسرى بني المصطلق حينما أسروا، أراد النبي ﷺ أن يعتقهم وأن يفكهم في سبيل الله فتزوج من بنت زعيمهم ، فلما رأى ذلك الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أن النبي ﷺ تزوج من بنت زعيمهم أعتقوا أسراهم وتركوهم في سبيل الله، وتعامله مع طلقاء فتح مكة، حينما كانوا تحت يده صلى الله عليه وآله

وسلم، يفعل بهم ما يشاء ، ولو أراد أن ينتقم منهم لانتقم عليه الصلاة والسلام ، ولكنه قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

إلى غير ذلك أيها الأخوة من صور السماحة التي تفيض بها السيرة النبوية ، والتي هي من أعظم المجالات ومن أعظم ما يستفاد من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام في تحقيق الأمن والأمان والسلام العالمي.

أين نحن من هذه السيرة؟

أيها الإخوة ! أختم هذه الكلمة بسؤال عظيم ، وهو هذا النبي الكريم ﷺ أحدث في الأمة المباركة أمة محمد أحدث فيها تحولا عظيما وانقلابا كبيرا في المفاهيم والعقليات والتفكير وفي عاداتهم وتقاليدهم ، وكان عليه الصلاة والسلام يحبونه حبا عظيما ويجلونه إجلالا عظيما ، وفي ذلك نماذج كثيرة، هذا النبي ﷺ وقد رزقه الله سبحانه وتعالى الكمال في كل جوانب الحياة، فهو كامل ﷺ في علمه وفي عقله وفي أخلاقه وفي كل شكله الظاهري وفي باطنه وفي تعاملاته وفي كل مجالات الحياة ، كان عليه الصلاة والسلام كاملا مكملا ﷺ ، فلذلك أحبه الصحابة حبا عظيما، وقدموه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم وقدموه على والديهم، فلم يكن هناك شيء أحب إليهم من نبينا ﷺ .فأين نحن اليوم من هذه السيرة ؟

أروع أمثلة للحب والفداء

وسوف أعرض لكم أيها الإخوة بعض هذه النماذج الرائعة من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، التي تبين كيف كانوا يحبون ﷺ حبا عظيما، حبا ملك عليهم أفئدتهم وعقولهم وأرواحهم، حبا يضرب به المثل في التاريخ، حبا لم يتكرر على مر العصور والقرون إلى عصرنا هذا، هذا الحب العجيب من الصحابة رضى الله عنهم ومن التابعين يدعوننا أيها الأخوة إلى التعجب ويثير فينا هذا الاستغراب لهذا الحب العظيم، لكن إذا عرفنا أنهم أحبوا ذلك الرجل الكامل ﷺ وآله وسلم في حياته وفي كل مجالاته وفي شخصيته صلى الله عليه وآله وسلم لعرفنا سرذلك، ولأنهم تملأوا من هذه السيرة وقرؤوها وحفظوها وأصبحوا كأنهم يرون محمدا ﷺ أمام أعينهم ، يقول عمرو بن العاص رضي الله عنهم: والله ماكان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ وأجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه لما استطعت ، لأني لم أكن أملأ عيني عنده، يقول أنس: كان النبي ﷺ يخرج إلى المهاجرين والأنصار وهم جلوس ، فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد إليه بصرا ، وقال أسامة بن شريك: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله، وكأنما على رؤوسهم الطير وإذا تكلم خفضوا رؤوسهم إجلالاً لهذا النبي الكريم ﷺ ، وقال عروة بن

مسعود رضي الله عنه حينما وجهته قريش عام الحديبية إلى الرسول ورأى تعظيم الصحابه له قال تلك المقولة العجيبة الغريبة حينما رجع إلى قريش قال لهم: أي قريش ! والله لقد وفدت على الملوك وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت أحداً يعظم أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف أحد منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه ،وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له وقد كانوا يهابونه صلى الله عليه وآله وسلم هيبة عظيمة ، حتى إنهم ما كانوا يقرعون باب بيته إلا بالأظافير ، إجلالا وإكراما وهيبة له ﷺ [٣]، وذكر محمد بن إسحاق في المغازي أن امرأة قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد ، فما سألت عنهم ولا سألت عن واحد منهم ، بل قالت: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: هو بخير بحمد الله ، قالت : حتى أراه بعيني،فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[٤]، كل مصيبة بعدك جلل، وسئل علي رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ وآله وسلم قال : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا، وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ، وقال زيد بن أسلم:

---

[٣] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٢٥٨١، باب الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب

[٤] السيرة النبويه لابن هشام ج٢/٩٩، وهذه المرأة كانت من بني دينار

خرج عمر رضي الله عنه يحرس الناس فرأى مصباحا في بيت مضيء وعنده عجوز، وإذا عجوز تنقش صوفا لها وتقول:

علـــى محمـــد صـــلاة الأبـــرار
صـــلى عليـــه المـــصطفون الأخيـــار
قـــد كنـــت قوّامـــا بكاءالأســـحار
يـــا ليـــت شـــعري والمنايـــا أطـــوار
هـــل تجمعـــني وحبـــيبي الـــدار
هـــل تجمعني وحبيـــبي الـــدار

تعني النبي ﷺ، قال: فجلس عمر رضي الله عنه يبكي عند باب بيتها، ويقول: هل تجمعني وحبيبي الدار، وهل تجمعني وحبيبي الدار[٥]، ولما حضرت بلالا الوفاة صاحت زوجته وقالت: واكرباه واحزناه! فقال لها: بل واطرباه وافرحتاه.

غـــدا ألقـــى الأحبـــه، محمـــدا وصـــحبه
غـــدا ألقـــى الأحبـــه ،محمـــدا وحـــزبه

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم لكي يقتلوه، قال له أبو سفيان: أنشدك بالله يازيد! أتحب أن محمدا الآن في مكانك، يضرب عنقه، وأنك في أهلك مطمئنا، فقال زيد: والله ما أحب أن محمد ا الآن في مكاني الذي هو فيه،

---

[٥] تاريخ مدينة دمشق ج ٣١٣/٤٤

ما أحب أن محمدا في مكانه الذي هو فيه، تصيبه الشوكة ، وإني جالس في أهلي[٦] ، وقال أبوسفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً ، وكان خالد بن سعدان رضى الله عنه يأوي إلى فراشه و يذكر شوقه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، يفعل ذلك كل ليلة ويقول:

هم أصلى وفصلى، وإليهم يحن قلبي، قال: شوقي إليهم ،فعجل ربي أجلي إليه حتى أنام، وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا حدث عن النبي ﷺ علاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر من جبهته رضي الله عنه، وجاء أمير المؤمنين جعفر المنصور رحمه الله فدخل المسجد النبوي ورفع صوته في المسجد النبوي ، فقال له الإمام مالك رضي الله عنه ورحمه : لا ترفع صوتك في مسجد رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين ! لا ترفع صوتك في مسجد رسول الله ﷺ، فإن الله أدّب قوما فقال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾ (الحجرات:٢) وذم قوما، فقال :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾ (الحجرات/٤) ويقول مالك رحمه الله بعد أن سئل عن أيوب السختياني رحمة الله عليه قال : ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه ، وقد حج

---

[٦] السيرة النبوية لابن هشام ج١/١٧١، المطبعة الثانية.

حجتين فكنت أرمقه يعني أنظر إليه ولا أسمع منه حتى لما ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى رحمته فلما رأيت إجلاله للنبي ﷺ وتعظيمه للنبي بكيت عليه، يقول مصعب: كان مالك إذا ذُكر النبي ﷺ عنده يتغير لونه، وينحني حتى يصعب على جلسائه، فسئل عن ذلك يوما ، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبداً ، إلا يبكي حتى نرحمه ، ولقد رأيت جعفر بن محمد رحمة الله عليه وكان كثير التبسم والضحك ، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر وجهه وبكى، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، وقد كان عبدالرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيحمر وجهه، كأنما نزف الدم وقد جف لسانه هيبةً لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبدالله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري رحمه الله تعالى: وكان من أهنأ الناس عيشا وأقر بهم إذا ذكر النبي ﷺ فكأنه ما عرفناه ولا عرفناه، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من العباد ، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ يبكي حتى يقوم عنه الناس ، ويتركونه.

كان مطرف رحمه الله : كان إذا جاء الناس إلى مالك بن أنس رحمة الله عليه يرسل إليهم الجارية فتقول له: ماذا تريدون؟ أتريدون الحديث أو مسائل الفقه؟ فإن قالوا: نريد

مسائل الفقه خرج إليهم مالك رحمة الله عليه يعني خرج إليهم ولم يتهيأ ولم يفعل شيئا ما، فإذا قالوا له: نريد الحديث ، أيها الأخوة فاسمعوا ماذا كان يفعل مالك رحمة الله عليه إن قالوا: إنما نريد الحديث يعني نريد أن تحدثنا دخل مغتسلا، فاغتسل وتطيب ولبس أحسن الثياب ، وتعمم ووضعه على رأسه ووضع على رأسه رداء وتلقى له منصة في المسجد النبوي ليقعد عليها فيخرج فيجلس على هذه المنصة وعليه الخشوع ، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ ، وكان يقول: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا من ذلك ، وقال أبو مهدي : مشيت يوما مع مالك رحمه الله إلى العقيق، فسألته عن حديث فانتهر ني وقال: كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله، ونحن نمشي.

فيما ذكرناه كفاية

لا أريد أن أطيل عليكم أيها الإخوة ! وفيماذكرناه كفاية وبيان واضح على أن سيرة المصطفى ﷺ فيها الخير والنور والبركة والهدى والصلاح لمن فقه عن الله ولمن عقل عن ربه سبحانه وتعالى ولمن أحب هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فأنا هنا في هذا المقام وفي هذه الليلة وفي هذا المؤتمر أدعو الناس جميعا وأدعو نفسي أولا إلى أن نقبل على هذه السيرة

المباركة إقبال المحب، إقبال المتعطش، إقبال الظامئ الذي يرى أنه ليس شيئا ولا يعرف شيئا ولا يفقه شيئا ويحقر نفسه حينما يقرأ هذه السيرة النبوية ليجد فيها الخير والبركة والهدى والنور في كل مجالات الحياة في السلام وفي الأمن والأمان والاقتصاد والسياسة و الإدارة والحياة الأسرية والحياة العلمية، وغير ذلك، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم الخلق عند الله وأكرم الخلق عند الله، وهو الميزان الأكبر، الميزان الأكبر الذي توزن عليه كل الأقوال والأعمال والأفعال.

بارك الله لي ولكم فيما سمعنا وفيما قلنا، ولعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك حجة لنا يوم نرتاع، إنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير.

وأكرر شكري وتقديري لكل من ساهم في هذا اللقاء الحافل، وهذا الحشد الكبير و هذا المؤتمر المبارك ، وأسآل الله عزوجل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المحاضرة الثالثة

الوسطية شعار الأمة المحمدية

المحاضرة الثالثة

الوسطية شعار الأمة المحمدية *

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران ١٠٢)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء ١)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب ٧٠-٧١)

أما بعد : فإن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، فاتقوا الله عباد الله ! وراقبوه في السر والعلانية والغيب والشهادة، واعلموا أنه

---

* خطبة الجمعة من على منبر جامع ندوة العلماء ، لكناؤ ، في ٤/مايو عام ٢٠١٢ .حضرها نصف مليون مسلم و استمع إليها من صلى خلف الإمام المحترم صلاة الجمعة.

ليس من يتبع طرقا بطلا ، إنما من يتقى الله البطل ، ولكن التقي هو السعيد ، ونسأل الله السعادة في كل حال .

أمة الإسلام تمر بمرحلة خطيرة

أمة الإسلام!

إن الأمة الإسلامية اليوم لتمر بمرحلة حرجة وفترة مخاض دقيقة ، لعلها من أحرج وأدق مراحلها التي مرت بها، فالقضايا متكاثرة والمشكلات متشاكسة، والآلام والآمال متعددة في العالم الإسلامي شرقا وغربا . حتى ما يدري المتحدث في أيها يتحدث ، بل كأن هناك قضية مهمة من قضايا الدين الكبرى، ومعلما بارزا من معالمه العظمى يحسن التذكير به والتمرين عليه بمثل هذا اليوم الأغر الأعز الأفخم، هذه قضية كبرى أصابها ما أصابها من تحريف وانحراف وغبش وتذليل، وبعد وابتعاد وسوء فهم أدى إلى سوء تطبيق ، وأدى إلى كثير من الانحرافات العقدية والفكرية والثقافية والأمراض الاجتماعية والسلوكية والتعصب المقيت والتنازع والتفرق والاختلاف المذموم الذي كرهه الله سبحانه وتعالى وكرهه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قضية الوسطية:

أتدرون ما هذه القضية يا مسلمون! إنها قضية الوسطية ، الوسطية التي هي من أجل شعائر الدين ، وأعظم خصائصه،

إنها قاعدة النبوة وأساس كل خير وصلاح وفلاح إنها السمة الربانية لهذه الأمة المباركة، أمة محمد ﷺ ، إنها الصبغة الإلهية لهذه الشريعة الخالدة والسمة الكاشفة لهذه الملة الدائمة.

الوسطية وما أدراكم ما الوسطية ؟ و ما أدراكم ما الوسطية؟ إنها شعار أمة محمد وصفتها العظيمة التي أعلنها الله تعالى وبينها في كتابه ، إنها منهج للحياة الراقية، إنها السبيل للفلاح السرمدي وطريق السعادة المنشودة وأساس وحدة المسلمين واجتماعهم، ووحدة كلمتهم وانتصارهم على أعدائهم ، إنها الكرامة الربانية الإلهية، التي أنزلها الله تعالى ووصفها ووصف بها هذه الأمة المباركة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قال ربنا : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة ١٤٣) .

ركائز الوسطية :

أمة الإسلام !

وهذه الوسطية المنشودة المباركة التي هي المعيار المعلن عن حقيقة هذا الدين في صورته الناصعة ، يقوم بناؤها على ركائز جليلة وكليات عظيمة، فالله عزوجل حينما أمرنا بها ورغبنا

إليها وحثنا عليها لم يترك بيانها هملا لكل من هب ودب ، ولم يسمح لكل من مشى ودرج أن يدعيها :

فكـــــل يـــــدعي وصـــــلا بليلـــــى
وليلـــــى لا تقـــــر لـــــه بـــــذاك

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات ، أصحابها أدعياء، فالله عزوجل قد بينها في كتابه أتم بيان وبينها رسوله ﷺ في سننه وسيرته أوضح بيان، هذه الوسطية المباركة يقوم بناؤها أول ما يقوم على الخيرية والصلاح والاستقامة والتقوى والعدل بشريعة الله عزوجل.

الخيرية والصلاح :

أمة الإسلام هي أمة وسط، هي أمة الخير والصلاح والتقوى والاستقامة والعمل بشريعة الله تعالى، أمة الإسلام أمة الوسط تأخذ بشريعة ربها كلها، تعمل بشريعة الله كلها، أمة الوسط أمة لا تقبل المساومة على دينها وكرامتها، أمة الوسط لا تقبل ولا تتنازل عن مبادئها وثوابتها وعقيدتها، قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران ١١٠) وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأحقاف ١٣) **وقال سبحانه:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأنفال ٢٧).

العدل والإنصاف:

أمة الإسلام !

هذه الوسطية المنشودة المباركة يقوم بناؤها ثانيا على ركيزة عظيمة القدر، جليلة المقدار، ألا وهي العدل والإنصاف، العدل والإنصاف مع الموافق ومع المخالف، العدل الذي قامت عليه السماوات والأرض، والإنصاف الذي تفيأت البشرية ظلال خيراته وبركاته حينما طبقت الأمة هذا المبدأ العظيم، مبدأ الإنصاف، ولذلك صلحت هذه الأمة المحمدية المباركة أن تكون شاهدة على الأمم جمعاء ، قائمة على الناس والبشرية بالعدل والإنصاف في الحكم والعدل والشهادة في الدنيا والآخرة ، يقول الله عزوجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة ١٤٣). وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام١٥٢). قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾(النساء ٥٨). وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ

وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (النساء ١٣٥) .

فالعدل والإنصاف مع الموافق والمخالف ، مع الحبيب والبغيض ، مع القريب والبعيد من أعظم شيم النفوس الأبية الكريمة الحرة ، ومن أجل أخلاق الرجال الكبار العظماء .

اليسر ورفع الحرج :

أمة الإسلام !

الوسطية منهج حياة هادئة كريمة عزيزة، حينما يقوم بناؤها ثالثاً على ركيزة جليلة القدر عظيمة المقدار ، ألا وهي اليسر ورفع الحرج، اليسر ورفع الحرج والسماحة والسهولة والحنيفية السمحة التي جاء بها النبي ﷺ والتي هي من أجل مقاصد بعثته ﷺ ، فلا وسطية مع الحرج والتشدد، ولا وسطية مع التطرف والتنطع والغلو، ولا وسطية مع التعنت والتمهل، ولا وسطية مع التعصب المذموم والاختلاف والتفرق والتنازع المكروه الذي كرهه الله وكره رسوله ﷺ ولا وسطية في المشقة على المسلمين، وتكليفهم ما لا يطاق، ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج ٧٨) ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ

﴿ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (البقرة ١٨٥) قال ﷺ فيما صح عنه : إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة[1]

الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان للوسطية: أمة الإسلام !

لن تبلغ هذه الأمة حقيقة الوسطية المباركة المنشودة إلا إذا جعلت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما المصدر الوحيد للتلقي والاستدلال، المصدر الوحيد للتلقي والاستدلال بفهم سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان من علماء الأمة الراسخين الصادقين المخلصين، إن الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بحبل الله المتين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هو الدليل الأكيد على حصول الوسطية وتحققها بالمجتمع، إن الاعتصام بالكتاب والسنة هو النجاة بإذن الله من كل الفتن والشرور، والضلالات و الانحرافات العقدية والفكرية والثقافية والاجتماعية، إن التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو علامة الخيرية والوسطية ، العلامة الأكيدة للخيرية والوسطية التمسك بالكتاب والسنة ، وهو كثير الصلاح والخير والفلاح، يقول الله عزوجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ ، حبل

[1] رواه البخاري ، رقم الحديث : ٦٤٦٣ .

الله هو القرآن، القرآن والسنة هما حبل الله، ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وقال سبحانه : إن تطيعوا تهتد وا، وإن تطيعوه يعني محمد ﷺ ، وقال سبحانه : واتبعوه لعلكم تهتدون ، وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله وسنتي[٢]

الخير كل الخير في اتباع الكتاب والسنة :

فالخير كل الخير يا أمة الإسلام ! يا مسلمون ! الخير كل الخير والهدى كل الهدى ، والصلاح كل الصلاح ، والوسط كل الوسط في اتباع الكتاب والسنة، والاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بالكتاب والسنة، والشر كل الشر والفساد كل الفساد والانحراف كل الانحراف في ترك الكتاب والسنة، والابتعاد عنهما وعدم تحكيمهما، والابتداع في دين الله وتقديم أقوال الرجال، وآرائهم وأهوائهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فليس ذلك من الوسطية في شيئ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالذكر الحكيم أقول وأستعين وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

---

[٢] المؤطا : ١٧٢٧ ، كتاب الجامع ، باب النهي عن القول بالقدر .

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين، وسائر الصحابة الكرام الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

أمة الإسلام ! هذه هي الوسطية المباركة المنشودة القائمة على هذه الأصول والركائز والمعالم العظيمة المتينة : الخيرية والصلاح والاستقامة والعمل بشرع الله واليسر ورفع الحرج والسماحة والسهولة والحنيفية السمحة والعدل والإنصاف مع الموافق والمخالف ، والاعتصام بالكتاب والسنة، هذه هي الوسطية القائمة على هذه الركائز الجليلة، إن هذه الركائز والمعالم والقواعد التي يقوم عليها بناء الوسطية إنها لم تلق أهمية بمكان عظيم ، لأنها تجمع ما تفرق من محاسن وسمات الدين، وأبين بجلاء سلوكيات هذه الوسطية وخصائصها التي أمر الله تعالى بها، فالدين كله بأصوله وفروعه وأحكامه العلمية والعملية إنما هو قائم على هذه الوسطية، مبني أصلا على هذه الوسطية التي جعلها الله شعارا ودثارا لأمة محمد ﷺ سواء كان ذلك في باب العقائد وما تفرع منها، أو كان في باب العمليات وما تفرع منها،

كلها مبنية على الوسطية، مبنية أصلا على هذا المنهج الرباني الذي اختاره الله عزوجل لأمة محمد ﷺ ، التي هي أكثر الأمم على الله وأفضلها عند الله تعالى.

أمة الإسلام !

هذه الوسطية المباركة القائمة على هذه الركائز الجليلة والقواعد المتنية إذا طبقتها الأمة حق التطبيق، ونفذتها، وعملت بها فإنها سوف تفيض عليها ألوانا من الأمن والأمان، والخيرات والبركات والهدى والفلاح والصلاح، سوف تكون شامة مبينة في جبين التاريخ ، سوف تحوطها بسياج متين وتمنعها بإذن الله هذه الوسطية ، وتحميها بإذن الله عن شوائب الأفكار المنحرفة والضلالات والأهواء العقدية والفكرية والثقافية والاجتماعية وتمنعها بإذن الله عز وجل من الآثار السلبية للتطرف والغلو والتنطع والتعصب المقيت والتنازع والاختلاف المذموم المكروه الذي كرهه الله سبحانه وتعالى وكرهه رسوله ﷺ ، وصفحات التاريخ شاهدة بصور مشرقة ونماذج رائعة من حياته ﷺ الذي طبق الوسطية حق التطبيق وضرب عليه الصلاة والسلام أروع الأمثلة والنماذج للوسطية المباركة المنشودة وسار على نهجه، ومشى على دربه الخلفاء الراشدون الأبرار : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وسائر صحابته الكرام الأبرار الأطهار ومشى على دربهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الإخوة !

الخير كل الخير في هذه الوسطية المباركة التي طبقها النبي ﷺ ومشى على دربه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح ٢٩) هذه هي الوسطية أشداء على الكفار، رحماء بينهم، المشكلة أن بعض المسلمين اليوم عكس هذا فأصبح شديدا على إخوانهم المسلمين المؤمنين، رحيما بالكافرين عطوفا عليهم، الله عزوجل يقول : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح ٢٩) .

ثم صلوا وسلموا على سيد البشرية وهاديها وسراجها المنير، فإن الله عزوجل قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه حيث قال في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(الأحزاب ٥٦)

وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أتته شفاعتي يوم القيامة .

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا وسيدنا، حبيبنا وقدوتنا وإمامنا محمد ﷺ وعلى أزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين وسائر صحابته الكرام الأبرار الأطهار خصوصا الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية صحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين ،اللهم أعز الإسلام و المسلمين ، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر عبادك ودينك وكتابك. اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك الناصحين والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم أكرمهم بهذه الأمة أمرا رشدا تعز فيه أهل طاعتك وتهدي فيه أهل معصيتك ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا واجبرنا برحمتك ياأرحم الراحمين ، سبحانك اللهم وبحمدك ونشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

المحاضرة الرابعة

أدب التعامل مع الناس

المحاضرة الرابعة

أدب التعامل مع الناس *

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين وسائر الصحابة الكرام البررة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أيها الإخوة الفضلاء والمشايخ النبلاء في هذه الدار المباركة التي نسأل الله عز وجل أن يجعلها دار خير وبركة ، ومشعل نور ومعرفة كما هي منذ بدايتها ، وقد أنشئت قبل مأةوعشرين سنة. فلمن أنشأها الثواب والخير عند الله عزوجل ، و لمن قام ومشى على طريقها ومنهجها فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها الإخوة الفضلاء !

لا شك أن اللقاء والاهتمام بزيارة العلماء وطلبة العلم من أعظم الخيرات والبركات التي نلتمس ثوابها و أجرها عند الله عز وجل، وأسأل الله سبحانه وتعالى الكريم بفضله ومنه وإحسانه وجوده أن نكون داخلين جميعا في هذا الحديث

---

* محاضرة ألقيت في حفلة الترحيب والاستقبال في جامع ندوة العلماء يوم الأربعاء ٢/من شهر مايو عام ٢٠١٢م .

العظيم الذي صرح عنه ﷺ حينما قال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله .ويتدارسون كتاب الله إلا حفتهم الملائكة وغشيهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده[1] .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الاجتماع الطيب المبارك في هذا المكان الطيب المبارك ، في دار العلم والعلماء ، وأن نكون داخلين في هذه الفضائل العظيمة ، الجليلة القدر التي أخبر بها النبي : تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة ، وأعظم شيء في ذلك أن يذكر الله فيمن عنده ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكل خير وبركة ، وأجر وثواب في الدنيا والآخرة .

أيها الإخوة الفضلاء والمشايخ النبلاء :

لا أريد أن أطيل عليكم في هذه الكلمة ، لكني ألتمس بركة القرآن العظيم وأتدارس مع إخواني آية واحدة من كلام الله عز وجل تكون نبراسا لنا في حياتنا ، وأنتم أهل العلم وأهل الفضل: والكلام إليكم كمن ينقل التمر إلى هجر.

لكن الله عز وجل أوصانا بأن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، هذه الآية التي هي مدار الحديث في هذه الدقائق آية

---

[1] رواه مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه .

عظيمة القدر ، جليلة المقدار ، مع أنها ليست طويلة ، آيات كلماتها محدودة ، وحروفها محدودة ، لكنها جمعت الخير كله ، وجمعت من الفضائل والعلوم ما ليس في غيرها.

آية جمعت أصول الإسلام :

أيها الإخوة ! إنما يدل هذا على إعجاز القرآن بنظمه وكلامه وحروفه ، وأن كلام الله عز وجل فوق كل كلام ، وأعظم الكلام وأجل الكلام والهدى والخير والنور والفلاح هو في كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله عزو جل في سورة الأعراف : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف ١٩٩) هذه الآية الكريمة كلماتها قليلة ، ولكنها جمعت أصول الأخلاق والفضائل وأركان الأخلاق الحسنة الجميلة التي جاء بها النبي ﷺ في هذه الشريعة الغراء ، ثلاثة أصول وثلاث مواعظ ، وثلاث كليات هي كليات الأخلاق وأصول الأخلاق الفاضلة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام .

ثلاث صفات لبناء الحياة الفردية والجماعية :

فو الله أيها الإخوة لو تدبرنا هذه الأصول وهذه الآية حق التدبر وفهمناها حق الفهم لتحولت حياتنا كلها إلى الأحسن والأكمل والأجمل والأزكى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ثلاث جمل "خذ العفو" وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين" جمعت أصول الأخلاق الفاضلة ، يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤) هذه أخلاق محمد رسول الله ﷺ ، وهذه الأخلاق تدل على منزلة الأخلاق في دين الإسلام ، وأنها مرتبة رفيعة حتى إن الإسلام أمر بها النبي ﷺ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : الدين المعاملة ، وقال النبي ﷺ :" **أَكمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلقا** "(سنن أبي داؤد رقم الحديث٤٦٨٤) وقال عليه الصلاة والسلام: " **إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِك بِحُسْنِ خُلقِهِ ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ القائِمِ.** (مسند الإمام أحمد رقم الحديث **٢٦٠٥٣**)، وقال ﷺ " **مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ خُلقِ حَسَنٍ ،(سنن الترمذي.باب ما جاء في حسن الخلق.رقم الحديث ٢١٣٣ -)** ويقول ﷺ :"إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا" (سنن الترمذي رقم الحديث **٢١٥٠**).

للأخلاق منزلة عظيمة في الإسلام:

وهذه الجملة تدل على أن الأخلاق منزلتها في الإسلام منزلة عظيمة ، فالدين عبادة وأخلاق ، الدين مع الله سبحانه وتعالى ومع الناس ومن حوله بجميع شرائط الدين نصفان : نصف: العبادة والطاعة والعمل والمعاملة مع الله ونصف آخر: معاملة

وأخلاق وفضائل وصفات وخصال للمعاملة مع الناس ومع جميع طبقات المجتمع ، فهذه الآية المباركة نبهتنا إلى ثلاثة أصول هي أصول الأخلاق الفاضلة ، وجميع الفروع والجزئيات الأخرى من الأخلاق الإسلامية الكريمة تدخل تحت هذه الأصول الثلاثة ، يقول سبحانه وتعالى "خذ العفو" يعني خذ ما صفا وعفا وتيسر من أخلاق الناس ، وما سمحت به طبا عهم وأخلاقهم و تعاملاتهم ، ولا تحمل الناس ما لايطيقون من الأخلاق والتعامل بل خذ منهم ما صدر منهم من أخلاق وتعامل ، وسامحهم فيما عدا ذلك مما لا يستطيعون أن يطعنوه ، هذه نظرة متوازنة في تعامل الإنسان مع الناس ، فيأخذ منهم ما صدر منهم من أخلاق وتعاملات ويقبلها منهم ويعفو عما فيه ويسامحهم فيما عدا ذلك ، هذا الأصل العظيم يشمل تحته أصولا مباركة وجزئيات وفروعا كثيرة من حسن التعامل والعفو والرحمة والأخذ فيما عفا وتيسر من أخلاق الناس ومسامحة الناس والعفو والمغفرة والسماح والمسامحة والعفو والرحمة وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة وجزئيات الأخلاق الفاضلة .

التسامح والعفو قوام الحياة الاجتماعية:

لا يمكن أبدا أخي الكريم أن تجد الإنسان كاملا مكملا في كل شيء ، وكل إنسان له إيجابيات و له سلبيات ، فأنت حينما تعامل الناس تقبل منهم إيجابياتهم وتقبل منهم الخير الذي

عندهم وتقبل منهم الحكمة التي هي عندهم والتي يقولونها ويفعلونها، وأما إذا أخطأوا أو تجاوزوا أو قصروا في شيئ تجاهك فإن الأفضل أن تسامحهم وتعفو عنهم وتتغافل عن تقصيرهم تجاهك ، هذا هو المنهج العظيم في تعاملك مع الناس ، مع المسلمين في لكناؤ، هذا المنهج لو طبقناه في حياتنا لذهبت كثير من المشكلات بين المسلمين وانتفت كثير من الآفات والأمراض بين المسلمين ، فقلت لكم : إن الإنسان لا يمكن أن يكون كاملا في كل شيء ، بل عندهم جوانب النقص وعندهم جوانب الكمال والإيجابيات ، فتقبل جوانب الكمال والخير وتعفو عن هذه الجوانب الأخرى التي فيها نقص وفيها تجاوز في التعامل مع الناس ، وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا المنهج العظيم المتواضع ، نبهنا عليه الصلاة والسلام إلى هذا المنهج العظيم المتواضع ، وقال في الحديث الصحيح عن **أبي هريرة - رضي الله عنه - : أنَّ رسولَ اللهِ -ﷺ- قال :«لا يَفرَك مؤمن مؤمنة ، إن كرِه منها خُلقا ، رضي منها آخَرَ»**. أخرجه مسلم. هذا المنهج المتواضع منهج العقل والحكمة : لا يفرك مؤمن مؤمنة يعني لا يبغض مؤمن مؤمنة أي زوجته إن سخط منها خلقا رضي منها آخر، إذا رأيت من زوجتك بعض النقص في التعامل في الأخلاق ، في الكلام ، بعض السلبيات فإياك إياك أن تشن عليها حملة شعواء وتنسى جهودها وإيجابياتها وخيراتها وبركاتها

الأخرى وتنسى ذلك كله و تؤذيها وتعاملها بقسوة وغلظة وجفوة وكره وبغض ، هذا ليس من أخلاق الإسلام ، ليس من أخلاق النبي ﷺ الذي نبهنا عليها وذكرنا بها وأمرنا بها إن سخط منها خلقا رضي منها آخر، إذا سخطت من زوجتك من خلق ونقص معين فتذكر فضائلها وإيجابياتها وخيراتها وما قدمته لك من خدمة وما قدمته لك من عمل وتعاون كبير ، سمعت أذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه من زوجتها ، سمعتها وهي تكلم بصوت عال وكأنها تخاصم في أمرها وعمر رضي الله ساكت متحمل وصابر عليها ، فسأله أحد عن هذا الموقف الغريب وأنتم تعلمون أن عمر رضي الله عنه شديد في دين الله وشديد للحق ولكنه سكت ولم يرد عليها ، فسأله عن هذا الموقف العظيم ، وهذا الموقف الغريب من الله لماذا فعلت ذلك ؟ فقال عمر رضي الله عنه : إنها تقوم على عيالي وتغسل ثيابي وتطبخ طعامي وتفعل كذا وكذا ، تذكر مواقفها الإيجابية فعفا عن هذا الموقف الذي جرى منها ، فهذا منهج عظيم في تعاملنا مع إخواننا المسلمين في جميع شرائحهم وطبقاتهم وأعمالهم ، نقبل منهم الإيجابيات والخيرات والكمال والفضل والعلم والحكمة وما هو فيه من هدى نقبل منهم ونشكرهم عليه ونعفو ونتجاوز ونتسامح عما يكون من نقص وتجاوز في تعامل

وتعد في الأخلاق ونقبل ما سمحت به طباعهم وسمحت به أخلاقهم.

هذا الكلام وهذا المنهج المتوازن منهج العقل والحكمة له آثار طبية ونتائج طيبة كما لا يخفى، لكن أنبه على قضية مهمة وهي أن هذا المنهج الذي ذكرت لكم و الذي نبهت عليه الآية وأمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني أبدا في أي حال من الأحوال أن يثبت الانسان على العفو ونقص في الشريعة والعقيدة والعادات والأصول والكليات التي جاء بها الشرع الإسلامي ،لا يعني أن نثبت على ذلك فقط وأن لا ينبه إذا كان هناك خطأ في العقيدة ،خطأ في الشريعة ،خطأ في الأصول والقواعد والكليات التي جاء بها الإسلام خطأ فيما يتعلق بذات الله عز وجل وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله أو فيما حرمه من محرمات،ننبه على هذا الأمر وننصح من وقع في الخطأ، ولكن ننبهه بكل أدب و كل احترام وكل تقدير بالحكمة والموعظة الحسنة.

الأمر بالمعروف أساس كل خير :

ثم يقول الله عزوجل في الجملة الثانية من أصول الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي أمر بها النبي ﷺ وأمرنا الله سبحانه وتعالى وطبقها عليه الصلاة والسلام في حياته وسنته وسيرته ، يقول : وأمر بالعرف يعنى ليكن أمرك بالمعروف مشتملا على

أمرين مهمهن عظيمين : أن يكون بالتي هي أحسن بما هو معروف من الحكمة والموعظة والهدوء ، والأدب والإجلال والاحترام وبالتي هي أحسن ، ثم ليكن أمرك بشييء معروف شرعا وعقلاً ومروءة وعادة وتقليدا يعني أن التقاليد المعروفة الشرعية المرعية ليكن أمرك مشتملا على هذين الأمرين العظيمين ، ليكن أمرنا بالمعروف للناس ونهينا عن المنكر الذي يقع فيه بعض الناس ليكن بحلم ورفق وحكمة ورحمة وأدب وإجلال وعدم تجاوز ذلك إلى قسوة أو غلظة أو جفاء أو غير ذلك من الأمور التي تخدش مروءة الإنسان وليكن أمرنا للناس بالأشياء وبالأمور المعروفة والمروءة التي حثنا عليها الاسلام فنأمر الناس وننهاهم بعلم ورفق وأدب ورحمة فليكن أمرنا بالمعروف وليكن نهينا عن المنكر بالمعروف يعني بالأمور التي أمر بها الله تعالى وبكل الحب والاحترام والتقدير ، وهذه الجملة وهذا الأصل يدخل تحته كثير من الجزئيات والفروع التي جاء بها الدين والتي أمر بها ربنا سبحانه وتعالى، وهذا يدخل تحته خصلة عظيمة من أعظم خصائل الاسلام وهي النصيحة ، والنصيحة لها قدر عظيم عند الله وعند رسوله ﷺ جاء الأمر بها وحث عليها في آيات كثيرة ، وفيها أحاديث كثيرة منها: حديثه ﷺ : الدين النصيحة ، وقوله الدين النصيحة هنا

كأنه حصر وقصر الدين في النصيحة لعظم مكانتها وجلالة قدرها عند الله ، ولأنها من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى ، **عن تميم الداري - رضي الله عنه - : أنّ رسولَ الله - ﷺ - قال : «إنّ الدّينَ النصيحة. قلنا: لِمَنْ يا رسول الله ؟ قال : لله ،- ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم». أخرجه مسلم.**

فمن أعظم الخصال والأخلاق الفاضلة التي أمر الله تعالى بها في هذه الآية الشريفة الكريمة أن يكون الواحد منا داعية إلى الخير يأمر الناس بالخير ويأمرهم بالحكمة ويأمرهم بشريعة الله عزوجل وبما ينفعهم ويفيدهم في دينهم ودنياهم وأخراهم ، وأن يكون هذا الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة وبالرحمة وبالحب والمودة التي أمر الله تعالى بها وأمر بها رسوله ﷺ ، ولو نظرنا في سيرة المصطفى ﷺ لوجدنا أن عليه الصلاة والسلام طبق هذا الأمر أعظم تطبيق ، وله في ذلك مواقف كثيرة عليه الصلاة والسلام تظهر فيها السيرة النبوية كما تعرفون ولا يخفى.

الإعراض عن الجاهلين وقاية من كل سوء:

الجملة الثالثة أيها الإخوة الفضلاء والمشايخ النبلاء والعلماء في هذه الدار المباركة دار العلوم وندوة العلماء !

هذه الجملة الثالثة من أعظم وأجل ما أمر الله تعالى به ، قال سبحانه وتعالى : وأعرض عن الجاهلين ، هذه الجملة يندرج تحتها جزئيات كثيرة وأخلاق فاضلة كثيرة ، من أهمها وأعظمها أيها الإخوة ! الصفح والعفو وعدم الإقدام والابتعاد عن الجاهلين الذين يعاندون شرع الله عزوجل ، والذين هم أهل الزيغ والضلال والذين يصدون عن الخير.

الإنسان المسلم في هذه الحياة حينما يعمل بالعلم ويتعلم العلم ويعمل به يدعو الناس إلى هذا العلم وإلى ما يتعلمه ،سوف يقابل أناسا جهلة وأناسا لا يعرفون شيئا ، قد يؤذونهم في القول ، وقد يؤذونهم بالعمل وبالفعل قد يؤذونهم في أشياء أخر: ما هو الواجب عليهم في هذه الحالة: أعرض عن الجاهلين :لا تلقي لهم بالا ولا تلقى لهم اهتماما وعناية ولا تلتفت إليهم، أعرض عن الجاهلين :كل من جهل عليك ونسبك إلى أمر غير صحيح ولا ينسب إليك فعل، فالواجب عليك أن تعرض عنهم ،أعرض عن الجاهلين لا تدخل مع الجاهلين في سباب وشتام وخصام وجدال عقيم ،لا تدخل مع الجاهلين تجاوزات لا تليق بك ، وأنت المسلم الذي أمرك الله عز وجل بالأخلاق الفاضلة وبالخير وبالتعامل الحسن إذا فعلت ذلك إذا أعرضت عن الجاهلين الذين لا يعرفون العلم ولا يعرفون الله ورسوله

ﷺ ولا يعرفون هذه الأخلاق الفاضلة إذا أعرضت عنهم وتغافلت عنهم وتركتهم فإنك تكون أول الكاسبين وأول الفائزين وأول الناجحين لأنك سوف ترتاح ويرتاح ضميرك ويرتاح خاطرك ولا يتشتت همك وذهنك وعلمك وعقلك،فتشتغل بهؤلاء فتكون إذا : ارتفعت بنفسك وبأخلاقك عن هؤلاء الجهال السفهاء الذين يؤذونك بأقوالهم وأفعالهم ،فالإنسان العاقل الحصيف الحكيم يعرض عن أمثال هؤلاء ولا يلتفت إليهم ويتغافل عنهم ، وقد ثبت عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: التغافل تسعة أعشار الخلق الحسن، فالإنسان إذا يتغافل ولا يلتفت لهؤلاء الجهال الذين بريدون أن يسدوا طريقك إلى الله سبحانه وتعالى فيؤذونك بهذه الأقوال وبهذه الأعمال.

خلق نبينا ﷺ القرآن:

أيها الإخوة الأفاضل ، وأيها المشايخ والعلماء الكرام في هذه الدار المباركة دار العلوم وندوة العلماء !

لو نظرنا إلى سيرة المصطفى ﷺ لوجدناها تطبيقا عمليا لهذه التوجيهات الربانية ، ولذلك قال الله عز وجل: وإنك لعلى خلق عظيم ، فالله عز وجل أكرم حبيبنا ونبينا ﷺ بهذه الأخلاق الكريمة الفاضلة ، وما هي الأخلاق الفاضلة ؟ هي

أخلاق القرآن التي طبقها النبي ﷺ وصار ترجمان القرآن ، صار عليه الصلاة والسلام قرآنا يمشي إلى العرب ، تقول عائشة رضي الله عنها ورضي عن أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن جميع الصحابة تقول :كان خلقه القرآن ،ما هو خلق محمد عليه الصلاة والسلام؟ هو القرآن العظيم.

موقفان للأخلاق الحسنة:

فلذلك لو نظرنا إلى السيرة النبوية المباركة لرأينا أنها ترجمة حقيقية لأخلاق القرآن وتعاليم القرآن وتوجيهات القرآن ، ومنها هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها وفي تدارسها في هذا الوقت وفي هذا المكان المبارك ولا نستطيع أيها الإخوة أن نحيط بهذه المواقف الكثيرة ، لكن أكتفي بموقفين فقط من المواقف المشرقة العظيمة القدر منه ﷺ لتكون نبراسا لنا نحن أمة محمد ﷺ وأتباع محمد ﷺ وتكون مشعلا وهداية في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى :

الموقف الأول:

جاء الحبر اليهودي إلى النبي ﷺ يطلب منه الدين ، الذي استدان عليه الصلاة والسلام من هذا الحبر اليهودي شيئا ما ، فجاء هذا اليهودي وقبل أن يحل الأجل جاء إلى محمد ﷺ يطلب منه دينا و جادل جدالا و جذب حتى أثر البرد في عنقه

تأثيراً كبيراً ، ولم يكتف بهذا الفعل بل قال له: أعطني ديني يا محمد ! فإنكم يا بني عبد المطلب ! قوم مطل يعني تماطلون الناس في إرجاع حقوقهم يعني لم يكتف بالفعل الشنيع مع محمد عليه الصلاة والسلام بل تكلم في ذلك الكلام البائس الذي لا يجوز مع مقام النبوة على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، فما كان بعمر رضي الله تعالى عنه وهو شديد لدين الله إلا أن هب هبة قوية ، وقال :دعني أضرب عنقه يا رسول الله ! فلننظر ما هو موقف محمد عليه الصلاة والسلام التفت إلى اليهودي وابتسم ، أخلاق عالية أخلاق نبوة ، التفت إلى اليهودي وابتسم ثم قال لعمر رضي الله عنه : أنا كنت أحوج إلى أن تأمرني يا عمر بحسن القضاء وأن تأمره بحسن التقاضي.

انظروا إخواني الأجلاء ! إلى هذا المقام النبوي الرفيع ، والله الذي لا إله غيره ! لو جاء واحد من الناس اليوم وفعل معنا مثلما فعل لضربناه وتكلمنا عليه واتخذنا إجراءات أخرى ، ولكن هذا اليهودي جاء إلى النبي ﷺ وجذبه ببردته وقال :يا محمد ! إنكم مطل، فابتسم إليه النبي ﷺ ، انظروا هذا المثال النبوي المشرق ، وهذه الابتسامة المشرقة و الكلام الذي ذكرت لكم قبل قليل ، ثم أمر عمر رضي الله عنه أن يعطيه دينه ويزيده عشرين صاعاً ، يا الله ! يا الله ! ما هذه الأخلاق الفاضلة ؟

يعطيه دينا وعشرين صاعا زيادة ، سأل عمر : لماذا تعطي يا رسول الله هذه الزيادة ؟ فقال لعمر: لأنك روعته وأخفته ،الله أكبر لأنك روعته وأخفته أعطه عشرين صاعا زيادة ، في هذه اللحظة أيها الإخوة أسلم اليهودي ،أسلم اليهودي وقال : والله إني كنت أقرأ في صفة النبي ﷺ في التوراة وأجد فيها أنه من أشد الناس حلما ولا يزيده جهل الجاهلين إلا حلما صلى الله على صاحب الرسالة سيدنا محمد وصلى على آله وأصحابه .

الموقف الثاني :

أيها الإخوة ! كان يقسم النبي ﷺ الغنائم بعد غزوة حنين كما هو معلوم فأعطى كبار المشركين الذين أسلموا ،الذين أعطاهم من الإبل لكي يتودد إليهم ويتألفهم حتى يسلموا حتى يقفوا على دين الله فأعطى أقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عينية مائة وأعطى فلانا مائة من الإبل وأعطى فلانا مائة من الإبل وأعطى فلانا كذا وكذا ، فجاء أعرابي غليظ جاف ووقف على محمد ﷺ وقال : يا محمد ! اعدل فإنك لم تعدل[٢] ، فغضب عليه الصلاة والسلام من هذا الكلام ، ولكنه

---

[٢] صحيح البخاري باب من شرك قتال الخوارج للإ[illegible]، ولئلا ينفر الناس عنه رقم الحديث : ٦٥٣٤، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

سبقه الحلم والرحمة والتفت إلى هذا الأعرابي وقال له : ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل، ثم أمر له بالمال.

هذا يتعرض لمقام النبوة ويتجرأ على النبي ﷺ في هذا الكلام ثم يقابله النبي ﷺ بكل حب ورحمة وعطف وحنان وحكمة وإرادة الخير وينبهه على الخطأ الذي قاله ، وكم أيها الإخوة نحن بحاجة إلى الأخلاق الفاضلة والأخلاق الحسنة في دعوتنا إلى الله وفي تعليمنا وتعلمنا وفي معاملاتنا مع الناس جميعا في جميع طبقاتهم وفي جميع شرائحهم و حتى في جميع أديانهم ، والنبي ﷺ كان من جيرانه اليهودي ، ولكنه كان يحسن إليه ، وكان يتفقده بالإحسان وبالبر وكان يقبل عزيمته وغنيمته ويذهب إليه ولا استدان منه .

وأنتم تعلمون أن النبي ﷺ مات عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند يهودي ، و نحن بحاجة إلى أخلاق محمد ﷺ التي هي أخلاق القرآن أن نطبقها على نفوسنا أولا ، ثم على من حولنا من إخواننا وجميع طبقات المجتمع وأن تكون نبراسا لنا في هدايتنا وفي طريقتنا إلى الله ، ومن أراد أن يتعلم الأخلاق القرآنية الحسنة فعليه بالسنة سنة المصطفى ﷺ ، عليه بالحديث النبوي عليه بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يجد فيها أخلاق القرآن مطبقة كاملة ، والله لو لا خفنا الوقت لأخذنا

نماذج كثيرة من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وأنتم لا شك تعرفونها .

وفي ختام هذه الكلمة أشكر الله سبحانه وتعالى على هذا الفضل العظيم وعلى هذا اللقاء المبارك وأشكر جميع الإخوة و المشايخ الفضلاء والعلماء الذين أحاطوا بي واستقبلوني في هذا المكان الطيب استقبالا رائعا وعظيما ، وعلى هذا الحب و التقدير الذي كان يعرف الله سبحانه وتعالى، وأدعو الله عز وجل أن يجمعنا في مستقر رحمته وأن يجعلنا تحت لوائه ﷺ في جنات النعيم علي سرر متقابلين ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه .

صلى الله عليه وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا وسيدنا محمد وأصحابه وصحبه أجمعين .

فهرس الكتاب

المقدمة بقلم سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
بين يدي الكتاب
تعريف موجزبالإمام المبجل من موقع ويكيبيديا

المحاضرة الأولى

القرآن الكريم : كتاب هداية وشفاء

العرب قبل بعثة النبي ﷺ
أول وحي نزل على رسول الله ﷺ
رسالة الوحي الأول
القرآن هداية للبشرية جمعاء
القرأن موعظة وشفاء
المرض مرضان
القرآن شفاء للأبدان من الأمراض الجسدية
تجربة الإمام ابن قيم الجوزية لسورة الفاتحة
القرآن يهدي للتي هي أقوم
الأمة المحمدية لها ثمانون صفا في الجنة
القرآن مجموعة البراهين العقلية و النقلية
تأثير القرآن على الصحابة الكرام
لماذا لا يؤثر القرآن فينا
هناك سببان مهمان
تفضيل العلوم على القرآن سبب تخلف المسلمين

المحاضرة الثانية

السيرة النبوية والسلام العالمي

شكر وتقدير

السيرة النبوية أعظم علوم الإسلام

الاقتداء بالنبي ﷺ أجل أهداف السيرة

السيرة مصدر حياة الصحابة

التربية بالقدوة

إقامة الأخوة الإيمانية

التوحيد منطلق دعوة النبي ﷺ

السيرة النبوية أسوة حسنة

في السيرة علم الدنيا و الآخرة

سماحة النبي مع غير المسلمين

عدم التعرض بالأذي للمعاهد أو الذمي

القصد والاعتدال في العلاقة مع غير المسلمين

عدم التعرض لدور العبادة

تحريم قتل النساء والصبيان وغيرهم

العدل والإنصاف مع غير المسلمين

التعايش السلمي

تعامل النبي مع الأسرى

أين نحن من هذه السيرة؟

أروع أمثلة للحب والفداء

فيما ذكرناه كفاية

المحاضرة الثالثة

الوسطية شعار الأمة المحمدية

الخطبة الأولى (لصلاة الجمعة)

أمة الإسلام تمر بمرحلة خطيرة

قضية الوسطية

ركائز الوسطية

الخيرية والصلاح

العدل والإنصاف

اليسر ورفع الحرج

الكتاب والسنة هما المصدر ان الوحيدان للوسطية

الخير كل الخير في اتباع الكتاب والسنة

الخطبة الثانية

المحاضرة الرابعة

أدب التعامل مع الناس

آية جمعت أصول الإسلام

ثلاث صفات لبناء الحياة الفردية والجماعية

للأخلاق منزلة عظيمة في الإسلام

التسامح والعفو قوام الحياة الاجتماعية

الأمر بالمعروف أساس كل خير

الإعراض عن الجاهلين وقاية من كل سوء

خلق نبينا القرآن

موقفان للأخلاق الحسنة

الموقف الأول

الموقف الثاني